وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم : الأدب العربي
تخصص : نقد عربي قديم

ماستر "2"

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر موسومة بعنوان

قضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم

" كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة" أنموذجا

إعداد الطالبة:

❖ برمضان نصيرة

إشراف الأستاذة :

د.حميدات .م

أمام لجنة المناقشة المتكونة من :

الرقم	الاسم واللقب	الصفة
01	.....	رئيسا
02	.....	مشرفا ومقررا
03	.....	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

شـــــــكـــر و عرفان

الحمد و الشكر لله تعالى الذي أعانني و وفقني في انجاز هذا العمل حمدا يليق بجلاله و عظمته ، و هو أولى أن يحمد ، فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك على ما أسديت من النعم ، و ما يسرت من السبل و ما هونت من عقبات ، و ما سخرت من العون ، و المدد و صلي اللهم و سلم و بارك على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم القائل :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله " "رواه الترميذي"

-أما بعد-

يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة حميدات مسكجوب على تفضلها و قبولها الاشراف على هذه المذكرة على توصياتها و ملاحظاتها لاتمام هذا العمل المتواضع فلها من الدعاء بخير الجزاء و دوام الصحة و العطاء ...

كما لا أنسى شكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة وتقييم هذا ... وإلى كل أساتذة الكلية الآداب و الفنون ندعوا الله عزوجل أن يزيد بسطه في العلم و أن يجزيهم عنا خير جزاء.

كما يسرني أن أتقدم بوافر الشكر و أسمى عبارات الامتنان إلى كل من ساهم في انجاز و إتمام هذه المذكرة من قريب أو من بعيد

إهـــــــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي عملي هذا و ثمرة جهدي إلـــــى :

الغالي العزيز ، تاج رأسي و رفيق دربي و شريكي في النجاح ، من غرس فيا حب العلم و المعرفة ، و لم يبخل عليا بشيء فكان دوما سندي و مصدر تشجيعي للمواصلة و المثابرة و الوصول إلى اليوم أبي الحبيب أطال الله في عمره .

إلى من كانت قدوتي في الحياة إلى من علمتني تحمل الصعاب و الصبر على ما فات و الاجتهاد لنيل المراد ، إلى من فرحت لفرحتي و حزنت لحزني و سهرت على راحتي ، إلى من بصحبتها و عطفها و صلواتها .. كانت مصدر قوتي إلى أحب الناس على قلبي حبيبتي أمي حفظها الله

إلى من شجعني و ساعدني لأواصل مسيرتي و أحقق ما اصبو إليه شموع حياتي إخواني و أخواتي و أولادهم .

إلى رفقاء دربي صديقاتي وكل من يعرفني و يتمنى لي النجاح من قريب أو من بعيد

إلى أستاذتي المشرفة حميدات .م التي كانت لي يد العون في انجاز هذا العمل و اتمامه جزاها الله كل خير

نصيرة

3DLAT.COM

مقدمة عامة

مقدمة :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا و يرضى ، أحمدك يا ربي نستلذ به ذكرا، و إن كنت لا احصي عليك ثناء و لا شكرا ، لك الحمد حمدا ، أنت وفقتنا له ، و علمتنا من حمدك النظم و النثر ، و الصلاة و السلام على خير الورى ، و أفضل من أرسلت فجاء بالمحبة العظمى ، و كان أفصح الناس لسانا و أبلغهم بيانا و كتابه المعجزة الكبرى.

و بعد :

فإن الأدب بحر لا حد لساحله ، عميقة أغواره ، فريدة كنوزه ، لا تدرك فيه المآرب ، و لا تبلغ معه المطالب ، لاختلاف العصور التي فيه سار و الاتجاهات التي إليها انطلق و النظر إليه و إلى فنونه الجميلة ، علومه المتنوعة يجعل نظرة الباحث إليه نظرة المتسائل عن قيمته و يدفعه إلى تتبعه من جميع جذوره ، فهو الموطن الأصيل لكل نظم و نثر ، و في أي وقت و عصر ، حيث إن الأدب و النقد يتكاملان ، فالأدب هو مأثور الأمة من بليغ شعرها و نثرها بإضافة إلى الأدب و النقد يتكاملان ، فالأدب هو مأثور الأمة من بليغ شعرها و نثرها بإضافة إلى أن الأدب عميلة خلق و إبداع و منه ما يسمو صعيدا إلى الكمال ، و ما يقصر دون ذلك و أما النقد فهو يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، بإضافة إلى ما يميز النتاج الأدبي الجيد الرديء ، كما أنه يجيء لأجل إصلاح و تحسين النتاج

الأدبي ، بمعنى آخر أن الأدب و النقد صنوان في عميلة نتاج الأدب الرفيع و الجيد المبدع فالنقد من أهم ما تقوم عليه الحياة، و ترتقي به الحضارات و ترتكز عليه الأمم في تطورها ، وتبنى به الشعوب قواعدها الثابتة ، وتقيمها على أسس سليمة و تفاخر بها العالم و من القضايا النقدية الأدبية التي شغلت النقاد قضية اللفظ و المعنى التي كانت و مازالت موضع اهتمام قديما و حديثا ، و على أساس أنهما من عناصر العمل الأدبي و من الخصائص التي تؤخذ في الاعتبار عند تقديره و الحكم عليه ، فقد قام جدال بينهم في تحديد مصطلح كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية و من ثم في تقويم شخصية كل منهما في الريادة و الأولوية فقد تناولها النقاد في مؤلفاتهم و من بينهم ابن قتيبة في كتابه " الشعر و الشعراء" الذي هو موضوع دراستي هذه فما جعلني أدرس هذا الموضوع نزولا عند رغبة أستاذتي الفاضلة و رغبة مني في الولوج إلى عالم النقد الأدبي و ما لهذا الموضوع من دراسات و بحوث علمية و كذلك لأهمية الموضوع و ما يحمله من جدال بين النقاد و كذا دراسة كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة لما له من مكانة عالية .

و نظرا لأهمية هذا الموضوع، و ارتباطا بكثير من العلوم المعرفة و ما يلقى من صدى وسط النقاد و الأدباء و من خلال دراستي هته التي بصدد تقديم رأي و أفكار من أجل معرفة هذه المسألة و تعريف بها تبلورت لديا جملة من المفاهيم و الأراء الكفيلة بالتنقيب عليها و جذورها بالنهل من أمهات الكتب كجدل النقاد حول هذه القضية و تفضيلات كل واحد منهم... إلخ .

و كي لا أقع في خلط لأفكار، ارتأيت إلى ترتيب أفكاري على هته الشاكلة من اجل تسليط الضوء على هذه القضية و كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة ، فتلوح في أفق جملة من التساؤلات أبرزها :

ما مفهوم النقد ؟ كيف نشأ؟

قضية اللفظ و المعنى في النقد ؟ ...

كيف كان جدل النقاد حول هذه القضية ؟

ماذا تضمن كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة ؟

و غيرها من الأسئلة التي بصدد إجابة عليها في هذا الموضوع التي حدد لها القدر الكافي في دراستي هذه .

و قد انبعث المنهج الوصفي التحليلي في دراستي هذه لما له من أهمية بالغة في دراسة قضية اللفظ و المعنى و فرض آراء النقاد لها مع التحليل و النقد .

ولكل بحث صعوبات فقد واجهتني بعض الصعوبات في إنجاز هذا الموضوع منها غلق المكتبات بسبب جائحة الكورونا مما أدى إلى قلة المصادر والمراجع ونقص في المادة العلمية لكنها لم تأثر على انجاز بحثي في أكمل صورة.

حيث اقتضت طبيعة موضوعي أن يكون البحث في مدخل وفصلين مسبوقا بمقدمة ومتلوا بخاتمة.

من الطبيعي أن يخصص المدخل إلى ماهية النقد العربي ومراحله والقضايا النقدية بصفة عامة، اما الفصل الأول فقد تناولت فيه جدل النقاد حول قضية اللفظ والمعنى من خلال تفضيل اللفظ على المعنى وتفضيل المعنى عن اللفظ ووحدتهما، ورأي النقاد القدامى في ذلك كما تطرقت إلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى وكان يمثلها عبد القاهر الجرجاني، ووجهت نظر البلاغيين والفصاحة من عوارض الألفاظ أم من عوارض المعاني.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة و نبذة عن حياته ابن قتيبة و عصره كما تطرقت إلى ماهية الكتاب و كذا ظروف تأليفه و القضايا النقدية التي تناولها كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة ، تجليات المنجز النقدي داخل الكتاب ، كما تطرقت إلى الملمح التصنيفي في كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة و موقف ابن قتيبة من قضية اللفظ و المعنى و آراء النقاد في ذلك

كما اختتمت هذا البحث بخاتمة شاملة لجميع الموضوع.

مدخل

- نشأة النقد
- مراحل تطور النقد
- القضايا التي عالجها النقد
- قضية اللفظ والمعنى

01- نشأة النقد العربي:

يعد النقد من أهم ما تقوم عليه الحياة، و ترتقي به الحضارات، و ترتكز عليه الأمم في تطورها، وتبني به الشعوب قواعدها الثابتة و تقيمها على أسس سلمية ، و تفاخر بها العالم ذلك اننا بالنقد نعرف الصحيح من الخطأ ، و الجيد من الردّي و الحسن من السيء ، و الأدب موضوع النقد و ميدانه الذي يعمل فيه ، و أدب أي أمة هو المأثور من يبلغ شعرها و نثرها ، و الأدب عملية خلق و إبداع ، و منه ما يسمو صدا إلى الكمال و منه ما يقصد دون ذلك .

و لا يكون النقد الأدبي موافقا للعمل الأدبي و ناشئا معه، و لكنه يأتي بعد ظهور العمل الأدبي.

و إذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية المطلقة و التجديد، و اكتشاف آفاق جديدة يحلق فيها، و يعبر عنها ، فإن النقد على العكس من ذلك إنه محافظ مقيد، يقف عند حدد دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عمّا من مواطن القوة و الضعف و الحسن و القبح ، و إصدار الأحكام عليها و تذوق مناحيها الجمالية .

النقد لغة:

لم ترد كلمة النقد في القرآن الكريم، و لكنها وردت في الحديث الشريف و معاجم اللغة:

و **من معانيها:**

النقد: خلاف النسيئة ، أي: النقود، و ورد في الحديث الشريف أن زيد بن أرقم و البراء بن عازم كان قد اشتريا فضة بنقد و النسيئة ، فبلغ النبي صلى الله عليه و سلم فأمرهما: " أن ما كان بنقد فأجيزوه و ما كان بنسيئة فرودوه " [1].

يقال النقد إن: الذهب و الفضة

النقد : تمييز صحيح الدراهم و إخراج الزيف منها كالنقاد و التنقيد وقد نقدها ينقدها نقدا

نقد الشيء : بين حسن ورديئة ، أظهر عيوبه و محاسنه

نقد الناس : أظهر ما بهم من عيوب [2].

إذن فقد ظل معنى كلمة نقد يدور في مفهومه حول نقد الدراهم ، و تتميز الدراهم إلى الطعام و ذلك عن طريق انتقائه و اختياره ، لقد استخدمت لفظة النقد استعمالين الآتيين :

- تمييز الجيد من الرديء .
- إظهار العيب و المساوئ .

ثم أخذ الشعراء يرددون مفهوم النقد في أشعارهم .

[1] مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن مجد بن ابراهيم بن عمار الشيرازي الفيزو أبادي ، قاموس المحيط .
[2] حياة عمارة ، محاضرة في مقياس النقد العربي القديم ، سنة 2016/2015 ، جامعة تلمسان .

2- النقد اصطلاحا :

لعل المعنى اللغوي الأول أنسب المعاني و ألقيتها بالمراد من الكلمة النقد في الاصطلاح الحديث من ناحية ، و في الاصطلاح أكثر المتقدمين من ناحية أخرى .

ففيه معنى الفحص و الموازنة و التمييز و الحكم ، فقد نجد للفظ تعريفات في المفهوم الاصطلاحي ، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي ، و تمييزها مما سواها عن طريق الشرح و التعليل ، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها ، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد النص لابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فصول الشعراء ، حيث قرر أن للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم و الصناعات : منها ما تنتقده الأذن ، و منها ما تنتقده اليد ، و منها ما ينتقده اللسان ، وزمن ذلك اللؤلؤ و الياقوت لا يعرف بصفة و لا وزن دون **المعاينة بالبصر** : ومن ذلك جهند بالدينار و الدرهم لا تعرف جودتهما بلون و لا بلمس و لا طراز و لا رسم و لا صدف ، و يعرف الناقد عند المعاينة فيعرف بهجرها و زائفها ...[3]

وقد نجد نقد ماثلة عند قدامه في كتابه " نقد الشعراء " ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر جيده من رديئة كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعهودة [4]

[3] ابن سلام الجمعي ، طبقات فصول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية ، مطبعة المدني ، القاهرة 1974 الجزء الأول ،ص 05
[4] قدامة بن جعفر نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1979 ، ص 07

ونجد كتب أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من زوايا و جوانب مختلفة ، فمن هذه الكتب : الشعر و الشعراء لابن قتيبة، عيار الشعر لابن طباطبا الموازية بين أبي تمام و البحتري للآمدي ، الوساطة بين المتنبي و خصومه القاضي الجرجاني و الأغاني للأصفهاني ...

فالدراس لمثل هذه الكتب حري بأن يرى أن العرب قد عرفوا " النقد الأدبي " معنى لا أسها أو عرفوه كما يقول طه إبراهيم " كنها و حقيقة ، و إن لم يعرفوه عنوان الطائفة من المسائل[5]

النقد : دراسة الأشياء و تفسيرها و تعليلها و موازنتها بغيرها المشابهة لها أو مقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها و درجتها ، أو تقدير الصحيح لأي أثر فني و بيان قيمة في ذاته و درجته بالنسبة إلى سواه ، أو هو مجموعة الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية و المؤلفين القدامى و المحدثين بقصد كشف الغامض و تفسير النص الأدبي و الإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو المناهج بحث يختص بها النقاد .

ويبدأ النقد وظيفته بعد الفراغ من إنشاء الأدب فالنقد يفرض أن الأدب قد وجد فعلا ثم ينتقد لفهمه وتفسيره وتحليله وتقديره و الحكم عليه بهذه الملكة التي تكون لملاحظاتها قيمة و أثر في النص و القارئ و المبدع و نستنتج مما سبق أن المفهوم الاصطلاحي لكلمة النقد هو تمييز جيد الشعر من رديئه و الذي سيبقي هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى .

و من الناحية التاريخية نرى أن الأدب أسبق إلى الوجود من النقد ، و هذا يعني أن الشاعر الأول قد سبق إلى الوجود الناقد الأول ، أي كانت طبيعة هذا النقد من الانطباعية تأثرية أو

[5] عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ،ص 11.

علمية دقيقة، و الأدب يتصل بالطبيعة اتصالا مباشرا ، على حين يراها النقد من خلال الأعمال الأدبية التي ينقدها ثم إنّ الأدب ذاتي من حيث إنه تغيير عمّا يحسّه الأدبي و عما يجيش في صدره من فكرة أو خاطرة أو عاطفة ، أما النقد فذاتي موضوعي : فهو ذاتي من حيث تأثره بثقافة الناقد و ذوقه و مزاجه و وجهة نظره ، و هو موضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات و أصول علمية .

وظيفة النقد:

فالنقد الأدبي وظيفة كغيره من العلوم حيث يرى سيد قطب أن وظيفة النقد الأدبي في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته التعبيرية والشعورية وتعين مكانه في خط سير الأدب ونحدد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته وفي العالم الأدبي كله وقياس مدى تأثيره فيه وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية[6].

و العمل الأدبي هو موضوع النقد الأدبي (وليس هناك تاريخ محدد لبداية النقد وذلك لأن النقد الأدبي يأتي في مرحلة متأخرة عن الأثر الأدبي وكان هو الشعر في العصر الجاهلي و ليس هناك بداية جازمة لتاريخ النقد و لازم الشعر في الفترة الجاهلية وكان أحكاما عامة وموجزة[7]

[6] سيد قطب ، النقد الأدبي ، أصوله و مناهجه ، دار الشروق ، ط 2 ، 1990 ، ص: 7.
[7] محمد محمد علي ناقدا، رسالة الدكتوراه جامعة أمدرمان الإسلامية ، فاروق الطيب ، ص7.

العمل الأدبي وغايته و قيمته الشعورية و التعبيرية و الكلام على آداه وطرائق أدائه وفنونه هي نفسها (النقد الأدبي) فالعمل الأدبي هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية[8] ، أي أنه تجربة شعورية تتجسد في صورة موحية ...

و منه فالنقد الأدبي عند العرب في الجاهلية كان تأثيريا آنيا يعتمد على الذوق الفطري و يتضمن أحكاما جزئية و تعميمات و مبالغات كثيرة و ليست له قواعد محددة.

النقد في العصر الإسلامي :

إن صدر الإسلام يعني عصر الرسول و الخلفاء الراشدين أو الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الإسلام و انتهت بقيام الدولة الأموية .

أحدث الإسلام ارتقاء في الفكر و الذوق عند العرب فتقدم النقد الأدبي خطوة إلى الأمام و ظهرت أحكام نقدية فيها شيء من الذوق و التدقيق و التعليل ، تهتم بالصدق و القيم الرفيعة في العمل الأدبي .

الخلفاء الراشدين :

عند تتبعنا للنقد في العصر الخلفاء الراشدين وجدنا أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أكثرهم تأثير فيه يمكن القول: إنه ناقد مهم في ذلك العصر، و عن عمر يقول ابن رسيق : كان عمر رضي الله عنه : أشدني لأشعر شعرائكم ....

[8] سيد قطب ، النقد الأدبي ، أصوله و مناهجه ، دار الشروق ، ط 2 ، 1990 ، ص: 9.

حيث كان في حلم عمر النقدي التعليل و التبرير و سطر معايير لهذا الحكم: الأول خلو الشعر من التعقيد و الغموض، الثاني الابتعاد عن الوحشي و الغريب، و الثالث الصدق و عدم الكذب.

مراحل تطور النقد الأدبي:

أ/ مرحلة ما قبل التدوين: هذه المرحلة تبدأ من العصر الجاهلي حتى مطلع العصر العباسي بدأت هذه المرحلة بالنقد الساذج البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية و شفوية دون تدوين أو ضوابط و يسمى بالنقد الانطباعي التأثيري.

حينما ننظر للشعر الجاهلي نجد أنه وصل إلى الريادة من جودة و اتقان حيث خضع لأنواع من التهذيب حتى بلغ مبلغ الكمال من الاتقان و ظهر ذلك من خلال المعلقات حيث يراجع الشاعر قصيدته و يعيد النظر فيها فتمكث حولا كاملا عنده يحسنها و يقومها و كانت أسواق العرب في الجاهلية مركز تلاقي الأدباء فيجتمع فيها الشعراء من القبائل عدة فينشرون ما لديهم من جديد الشعر فيتلقاه المستمعون بالتعليق و النقد و يتحاكم إليهم الشعراء بجودة قصائدهم [9].

و من أبرزهم النابغة الذبياني إذا كانت تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ و تأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

[9] من الأنترنت على الرابط : www.borum.unibrsra.net

و نذكر إحدى الروايات أن الأعشى أنشده حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم الخنساء بنت عمرو بن شريد بن ثابت التي أنشدتها فيها في رثاء أخيها صخر (التي منها و إن صحر) و التي منها :

و إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه النار

فقال : و الله لولا أن بصير أنشدني آنفا لقلت : أنك أشعر الجن و الاسن

فقال حسان : و الله لأن أشعر منك و من أبيك

فقال له النابغة : يا أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي و ان خلت أن المنتأي عنك أوسع

قال فحسن حسان لقوله [10].

ومن الروايات الأخرى قول النابغة أنه اجتمع لديه الأعشى وحسان فقد كان عمر يفضل الشعر الذي يحوي القيم و الأخلاقية و القيم الأدبية فلذلك هو يفضل من الشعر ما يجمع بين الحذف في الصناعة الشعرية و الصدق في القول و الوصف ، وكان لا يحب شعر الهجاء و الفاخرات و الغزل.

[10] سعود عبد الجبار، النقد الأدبي القديم، أصوله وتطوره الطبعة 1، 2000 الأردن: ص: 8-9

النقد في العصر الأموي :

لقد شهد النقد في العصر الأموي ازدهارا كبيرا ، حيث خطا خطوات بارزة في نحو التطور و الارتقاء ، و هذا بسبب وجود مجموعة من العوامل ساعدت على ازدهار النقد و منها استقرار العرب في الأقطار المفتوحة و تأثرهم بالحضارات الأجنبية ، و اهتمام الخلفاء الأمويين بالشعر و النقد و ممارستهم له و تشجيعهم عليه و بخاصة في بلاد الشام مقر الخلفاء الأموية ، كما أن الصراع السياسي الذي اشتغلت بنيرانه في موضوعاته و أدت إلى بروز حركة نقدية متطورة و ظهرت مدارس نقدية مختلفة[11] .

النقد في العصر العباسي :

وصلت الحياة الفكرية في العصر العباسي إلى ذروة التطور و الازدهار و لا سيما في العلوم و الآداب و قد عرف العصر العباسي حركات ثقافية مهمة و تيارات فكرية بفضل التدخل بين الأمم ... و كان النقل التراث اليوناني و الفارسي و الهندي و تشجيع الخلفاء و الأمراء و الولاة ، و إقبال العرب على البحث و التدوين و أنشئت المكتبات وراجت أسواق الكتب و قد وضعت المؤلفات في مختلف فروع المعرفة ....

[11] حياة عمارة ، برنامج مقياس النقد العربي القديم ، العام الجامعي 2016/2015 ، جامعة تلمسان .

و قام النقد في العصر العباسي على دعامتين أساسيتين أولهما التراث النقدي الذي وصل العصور فقام اللغويون و الإسلاميون و أقوال النقاد السابقين و من أبرز هؤلاء: أبو عمر بن العلاء و أبو عبيدة معمر بن المثني و الأصمعي[12].

و أن النقد في العصر العباسي لم يعد يرتكز كثيرا على الذوق الفطري بل أخذ ينتفع بكل ما آتت به النهضة العلمية في مستقبل ذلك العصر و في هذا العصر ظهر نوع جديد من النقد آلا و هو النقد البلاغي الذي يعتمد بن ثابت و الخنساء فقدم الأعشى ، و أخرى حسان فغضب حسان و قال له :" والله لأنا أشعر منك ! " .

و من هذه النماذج النقدية أيضا ، ما نقل عن منازعة امرئ القيس و علقمة بن عبدة الفحل ، و احتكامها إلى أم جندب زوج امرئ القيس في أيهما أشعر ، فقضت لعلقمة على امرئ القيس[13].

و سنكتشف من هذه الحكم مدى الاعتماد على الإحساس ز الذوق و نلاحظ أن أم جندب وقفت في حكمها عند نائية جزئية في القصيدة و لم تتجاوزها و هذا يتفق مع طبيعة النقد في ذلك العصر ، كما يجب أن لا يغرب عن بالنا أن الشعر العربي في العصر الجاهلي قد خطا خطوات كبيرة في مجال التطور ، إذ قصدت القصائد و تبنت الأوزان و أحكام البناء الشعري بينما كان النقد مازال يحبو و يسير وائد [14].

---

[12] حياة عمارة ، مرجع سبق ذكره .

[13] المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1385ه ، ص 27-28 .

[14] سعود عبد الجبار ، النقد الأدبي القديم ، أصوله و تطوره ، الطبعة الأولى ، 2000 م ، الأردن ص 11 .

كما فاضلوا بين القصائد فإنهم فاضلوا أيضا بين الشعراء و تذاكروا في الشعر و الشعراء، و أدعى كل واحد منهم أسبقية في الشعر .

و هذا النمط من النقد يعتمد علة الذوق و الانطباع الذاتي دون استقراء أو تحليل لشعر الشعراء[15] ، و من القضايا التي آثارها النقد في العصر الجاهلي، إبراز بعض العيوب الفنية و من ذلك الإقواء حيث كان أهل المدن و الحضر كانوا أول من أدرك عيب القافية التي يقع فيها الإقواء ، و لعلى سبب ذلك يرجع لأنهم كانوا يغنون الشعر من عيب في حركة القافية [16].

و دار النقد في العصر الجاهلي حول الأخطاء اللغوية الجزائية و من هذا القبيل نقد طرفة بن العبد لمسيب ، على البلاغة و فنونها و نجد أن المعتزلة كان لهم فضل كبير في نشؤ هذا اللون من النقد .

و لعلى خير ما أثر من المعتزلة في مجال النقد البلاغي حتى أوائل القرن الثالث صحيفة يشرين المعتمد ، و التي أوردها الجاحظ في البيان و التبيين التي تتضمن نصائح عامة للكل ، و بذلك نقول بان النقد شهدا تطور بارزا في العصر العباسي ، حيث ألقت المنتجات الأدبية ، و وضعت الكتب النقدية التي تبحث في النقد عن شتى جوانبه .

القضايا التي عالجها هذا النقد : إن المتابع لقضايا النقد العربي القديم ، يلاحظ أن أغلب هذه القضايا كانت مركز للحركة النقدية و الأدبية في العصر العباسي ، و إن سبقت

---

[15] المرجع نفسه ، ص 13 .

[16] المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1385 ه ، ص 14.

ظهورها قبل هذا العصر ، و لكنها وصلت ذروتها كما انه يستطيع أن يستثمر التحليل النقدي في تذوق جمال النص الأدبي و تقدير أهميته .

النقد الأدبي :

قضية اللفظ و المعنى: احتلت هذه القضية حيزا كبيرا في كتابات النقاد العرب القدامى، لما للفظ و المعنى من أهمية في تشكيل النص الدبي وهي القضية التي سوف يكون لها حيزا كبير في دراسة هذه التي أنا بصدد تقديمها من خلال هذا البحث .

السرقات الشعرية ، عمود الشعر، الصدق و الكذب ، الطبع و التكلف .

2- **قضية اللفظ و المعنى :**

إن النص الأدبي عبارة على لفظ و معنى ، وهناك من النقاد من تعصب للفظ و هناك من فضل المعنى ، وهناك من ترك هذا و ذاك و قال العلاقة القائمة بينهما ، وبحث بعضهم عن دلالة الألفاظ في ضوء المعاني كل ذلك من أجل تقويم النص الأدبي ، و هذه الاعتبارات المختلفة جعلت الدارسين يعنون بقضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم و هي من أبرز القضايا التي خاض فيها النقاد قديما إذ قامت معركة بينهم على أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية لذلك لابد من تعريف اللفظ و المعنى لغة و اصطلاحا .

اللفظ لغة :

لفظ و هي الرمي من الفم : لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته ثم يعد الدلالة المخصصة إذ يكون الملفوظ من الفم كلاما لفظت بالكلام و تلفظت به أي تكلمت به ، و بعدها يعين المفردة بأنها اللفظ جمعها الألفاظ[17] .

أما ابن فارس فهول يقول: إن مادة لفظ تعني أولا الدلالة على الطرح المطلق ثم هي يغلب عليها أن تكون من الفم ثم يخصص الفعل، فتقول:" لفظ الطرح يلفظ لفظا " وبعدها يورد واحدا من المشتقات وما يحتمله من دلالات اللافظة: في الديك لصوته، و لرحى لطرح المطحونة لإخراجه أشياء كثيرة من جوفه ...[18]

ثم يأتي الأزهري بدلالة الرمي من الفم على أنها الأولى فاللفظ هو أن ترمي بشيء كان في فيك و الفعل اللفظ يلفظ لفظا ، ثم يخصص المادة بالكلمات و اللفظ للفظ الكلام ... و بعد ذلك يورد عبارة كنائية في لفظ فلان عصبه إذا مات ، و عصبه ريقه الذي عصب بفيه أي عزي به فيس[19] .

يظهر لنا من خلال ما ذكر في بيان اللفظ أنه أيسر شيء للتعبير عما في صدر الانسان من المعاني و الأغراض و مثل اللفظ عندنا مثل مركب يسير براكبه للوصول إلى المنشود، و تزيد أهمية اللفظ عندما تتذكر بأن المتكلم بإمكانه أن يستخدم عدة أنواع من التعابير

---

[17] الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين بيروت طبعة الرابعة 1987م ، مادة (ل.ف.ظ)

[18] إبراهيم أنيس من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1980 .

[19] الأزهري ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف و ترجمته ، ص: 14 .

لمطلب واحد أو عدة مطالب في تعبير واحد، أو ... فإن علينا أن نأخذ اللفظ ملابساته و دراسته بعين الاعتبار .

اللفظ اصطلاحا: هو الحاصل المادي و المقابل الحسي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة ، و اهم ما يميزه أنه منطوق ، وهذا ما أكده عليه أغلب النحاة في تعريفاتهم ، فسيبويه يقصد باللفظ العلامة الاعرابية أو الاعراب .

حيث يرى أن الشكل اللفظي المتمثل في النصب يتبع معنى معينا و يوجه و يصحح عليه ، كما أن للشكل اللفظي المتمثل في الرفع يتبع معني معينا آخر و يوجهه و يصحح عليه .

و عرف ابن مالك الكلمة بأنها " لفظ مستقل دال بالوضع تحقيق أو تقديرا ، و المراد بهذا المستقل ما ليس بعض اسم كياء زيد ، و تاء مسلمة و لا بعض الفعل كهمزة أعلم ، و ألف ضارب ، فإن كل واحد من هذه المذكورات لفظ دال بالوضع و ليس بكلمة لكونه غير مستقل " [20].

و قال الأزهري الشيخ خالد :" و اللفظ في الأصل مصدر لفظت الرحى الدقيق إذا زمته إلى الخارج ، و المراد بالفظ هنا (أي في اصطلاح النحويين) الملفوظ به و هو : الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا كزيد ، أو تقديرا كألفاظ الضمائر المستترة

[20] ابن مالك شرح التسهيل ، تحقيق عبد الرحمن محمد بدوي *** دار الهجرة القاهرة ، 1990 ، ص : 1.3.4.

، و يسمى الصوت لفظا ، لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من الداخل الرئة إلى خارجها انطلاقا لاسم السبب على السبب [21].

حيث قال السيوطي : " ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت ، و إن اشتمل على حرف و لم معنى كان مفردا فكلمة ، أو مركبا من اثنين و لم يعد نسبة مقصودة لذاتها فجملة ، أو أفاد ذلك فكلام ، أو من ثلاثة فكلم " [22].

قال أبو البقاء الكوفي عن اللفظ : " هو في اللغة مصدر بمعنى الرمي ، وهو بمعنى المفعول ، فيتناول مالم يكن صوتا و ما هو حرف واحد أو أكثر مهملا أو مستعملا صادرا من الفم أولا ، و لكن خص في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر مهملا أو مستعملا فيقال لفظ الله بل يقال كلمة الله و في اصطلاح النحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من حرف ولحد أو أكثر أو تجري عليه أحكام العطف و الابدال ، فيندرج فيه حينئذ كلمة الله ن و كذا الضمائر التي يجب استثارها و هذا المعنى أعم من الأول و أحسن تعاريفه على ما قيل : صوت معتمد على مقطع ، حقيقة أو حكما فأول كزيد و الثاني كالضمير المستتر في (قم) المقدر بأنت[23] .

---

[21] الشيخ خالد الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية ، فصل الحلبي ، القاهرة ، د ت ، 1/ ص 2011 .

[22] السيوطي الأشياء و النظائر في النحو ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1 ، 1985 ، ص 513

[23] أبو البقاء الكفوي ، الكليات ، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة بيروت طبعة الثانية 1993 ص : 795 .

حيث ألاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تتفق في مفهوم عام ثابت للفظ و انحصاره في المنطوق أو الملفوظ ، كما أن مصطلح اللفظ يتصل بمصطلحات أخرى تحيط به و هي : القول و الكلم و الجملة و الكلام و الكلمة ...

المعنى لغة : سوف آتي على المعنى اللغوي لكلمة " معنى" من خلال مادتين يصبان في معناها و يتصلان به و هما (عنى) (عنو) ، مع أن المعنى الشامل و العام للاستعصا لين هو : " حبس شديد مع تضييق و استمرار بترتيب عليه ظهور " ، و هذا يتجلى من استعمالات المادة فيقال :

1- " عنا فيهم فلان أسير يعنو و عني فيهم يعني" أقام فيهم على ايسراه و احتبس العناء : الحسن في شدة و ذل ، عنا الرجل يعنو : إذا ذل لك واستأسر و عنيته تعنيه إذا احسبته مذيقا عليه حبسته حبسا طويلا فالاحتباس هنا هو الأيسر ، و قد قيد بالشدة و التضيق مرة ن و أخرى بالطول ، مع ما يترتب عليه من ظهور و عدم إخفاء في داخل السجن لكونهم يعملون مكبلين من هروبهم .

2- " عنا فيه الأكل يعنو، و عني فيه يعني، نجع" فالطعام يكون في البكن و يبقى أثره فيها ، و هذا هو الاحتباس الشديد و نجوعه ظهور أثره على البدن سمنا و ا تبارا .

3- عنيت الأرض بالنبات تعنو و تعني أظهرته، أو ظهر نباتها لم تعن بلادنا شيء لم تنبت شيئا ، ما أعنت الأرض شيئا : ما انبت فالنبات ظاهر على وجه الأرض ، لكن بذوره محتبسة في باطن الأرض ممسوك بها و بدونها مكان نبات[24] .

المعنى اصطلاحا :

فقد اختلف في تعريفه و يرجع ذلك إلى الاختلاف اهتمامات الدراسين له و تعدد ميادين بحوثهم ، بالإضافة إلى كثرت المصطلحات المستعملة لهذا المجال و المرتبطة به .

فالمعنى في كلام النحويين لم يكن واحدا ، و من ذلك أنهم كانوا يقصدون به المعنى النحوي أي وظيفة الكلمة في الجملة كالفاعلية و المفعولية و الإضافية .

و الواضح أن جل حديثهم الصريح عن المعنى كان بهذا قصد ، و من هذا قول :" اكرم سعيد أباه و شكر سعيدا أبوه " ، علمت برفع أحدهما و نصب الآخر الفاعل من المفعول ، و لو كان الكلام شرح واحدا لا ستبهم أحدهما ما صاحبه [25].

و يتصل بحديث النحاة أيضا عن معنى أننا نجد تقسيم مهما للدلالة عن ابن جنّي كذلك يرى فيه أن الدلالات ثلاث : لفظية كدلالة (قام) بلفظه عن مصدره و صناعية كدلالة (قام) أيضا بصيغته على الزمن الماض ، و معنوية كدلالة معنى هذا الفعل على ضرورة وجود فاعل له [26].

---

[24] الزبيدي ، تاج العروس ، مكتبة الحياة ، بيروت ، مصور عن المطبعة الخيرية بمصر ، 1306 ه - ابن منظور لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، مصور عن طبعة بولاق مادة (ع.ن.و.ع.ن.ي) .

[25] ابن جني ، الخصائص ، تحقيق ، محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة 1986 ، ص: 351 .

[26] المرجع نفسه ، ص : 3-100 .

و مثل هذا التقسيم الدلالي له أهمية واضحة في دراسة العلاقة بين اللفظ و المعنى من الناحية اللغوية و المعرفية في تراثنا .

أسباب الاهتمام بقضية اللفظ و المعنى :

إن الاهتمام بقضية اللفظ و المعنى و اختلاف الرؤية فيها يعود إلى أسباب انطلقت أساسا من قراءات النص الديني القرآن الكريم للكشف عن وجوه اعجازه الذي كان الدافع إليه في بعض الحالات ، ورد مزاعم الطاغين ، و جلاء الحقيقة أمام المشككين الذين خفيت عنهم أسرار بيانه و لطائف نظمه و أهم ملاحظة تستوقفني عند الذي قدمها علمائنا عن قضية اللفظ ، نظرية الفصل التي سيطرت عليهم في تصورهم لها ، حيث أخذ البحث عندهم اتجاهين متوازيين ، أحدهما اهتم بالفظ و الصياغة و الآخر وجه عنايته للمعاني و أحوال التراكيب و مما يعزز هذا الرأي أن الأصوليين و هم الذين أعطوا أكثر من غيرهم صورة ناضجة عن دراسة المعنى ، كانوا يرون أن كل وصف لسان يجب أن يضع في الاعتبار تقديم المعنى المتعلق بقصد المتكلم على محتوى القضية التي يحملها .

فإذا اتبعنا آراء العلماء على اختلاف بيئاتهم العلمية نجد فكرة الفصل سائدة و مسيطرة في تصورهم منذ البداية و هي مقدمة هؤلاء الجاحظ باتجاه أول بلاغي و ناقد آثار جدلية المعنى : بقوله المشهور :" المعاني مطروحة في الطريق " . و قد زكى عبد القاهر في هذه النظرية بقوله :" و كيف يتصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى ، و أنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال ، و إنما تطلب المعنى ، و إذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك و

إزاء ناظر " [27] ، و إذا انتقلنا إلى بيئة اللغويين و الأصوليون فإن هذا الفصل يظل مسيطرا و سائدا كذلك يقول ابن جني: " إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها و تهذبها و تراعيها ... فإن المعاني أقوى عندها و أكرم عليها و أفخم قدرا في نفوسها "[28].

تفضيل اللفظ عن المعنى أو المعنى عن اللفظ ليس سوى انعكاس لخلاف جوهري مذهبي ، معظم هؤلاء العلماء على اختلاف بيئاتهم العلمية كانوا يتوزعون بين أشهر مذهبين كلاميين عرفهما التاريخ الإسلامي و هما المذهب المعتزلي و المذهب الأشعري ، فقد كان كل عالم من هؤلاء العلماء ، و هو يحدد موقفه من قضية اللفظ و ينطق آراء خصومه و مخالفه ، و من ثم فإن هذا التفضيل للمعنى أو اللفظ ليس في الحقيقة سوى انتصار للمذهب و أفكاره .

قضية اللفظ و المعنى ارتبطت بقضية الاعجاز عند علماء الكلام و أصبحت لصيقة بها، و أصبحت محطة اهتمام العلماء ن بل يمكن القول إن قضية اللفظ و المعنى لم تكن لتكتسب أهميتها عند البلاغيين و اللغويون ، لولا اتصالها بقضية الاعجاز القرآني ، فقد ربط هؤلاء العلماء ما بين قضية اللفظ و المعنى و الاعجاز لكشف أسرار القرآن الكريم و ابراز سر الاعجاز اللغوي فيه .

مكانة اللفظ و المعنى : لقد برزت هذه القضية بوضوح في تاريخ الأدب العربي و خاصة في القرن الثالث هجري ، و شغلت الأدباء و النقاد و ظلت مناط البحث و الجدل فترة طويلة

[27] عبد القادر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، قراءة :محمود محمد شاكر ، دار النشر مكتبة الخانجي القاهرة ، ص : 72 .
[28] ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، : ص 1-215 .

، و انقسموا إلى فريقين و كان هذا الاتجاه السائد هو تفضيل اللفظ على المعنى ، حتى ظهر النقد العربي .

ونظرا لأهمية اللفظ و المعنى عموما و ارتباطهما بكثير من العلوم و مجالات المعرفة الإنسانية، لم تقتصر دراستها قديما و حديثا، عند العرب و غيرهم على مجال اللغة وحدها الذي يعد أكثر ميادين العلوم اهتماما بها [29].

بل إن كل المجالات المعرفية ذات الصلة بهذه القضية درست ما يخصها منها و لذلك كانت قضية اللفظ و المعنى في تراثنا مسالة أساسية و مشتركة في جميع العلوم و الدراسات العربية التي تتصل بالكلمة و اللغة حيث هيمنت على عقول اللغويين و النحاة و شغلت الفقهاء و المفسرين و المتكلمين ، و استأثرت باهتمام البلاغيين و المشتغلين بالنقد ، نقد الشعر و قد كان من اسهام اللغويين العرب في هذا المجال : وضع معاجم الألفاظ و معاجم المعاني ، و دراسة اتصال معاني الألفاظ متحدة الأصول ، و محاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر و الاشتقاق الأكبر ، و كذلك بحث المطابقة بين اللفظ و المعنى من حيث مناسبة كل منهما للآخر [30]

و كذلك إظهار الاستفادة من أصوات الكلمة نفسها، أي أن هناك علاقة طبيعية بين الدال و المدلول ، فكلمة (تتضح) مثلا : تعبير عن فوران السائل بقوة و عنف ، و إذا ما قورنت

[29] Jon Laimz : langue et sens et peroles,T.abas sadek el Wahab ; Maison cultural Générale ,Baghdad ,T1,1987 p16.

[30] ابن جني، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة 2. 2 154 / 267 ص .

بنظيرتها (تتضح) التي تدل على : ترسب السائل في تؤدة و ربط ، فإن تلك المقارنة تكشف عن أن للصوت الخاء في الأول دلالة صوتية قوية ، إذ أنه أكسبها في رأي أوائل الذين يقولون بوجود هذه المناسبة تلك القوة و العنف[31]، بينما خلت الكلمة الثنائية و لعل ما ذكر أوجب على الباحثين توجه جهودهم في هذا السير في ثلاث اتجاهات واضحة و جلية و هي : دراسة الحقيقة و المجاز، و بحث خصائص التراكيب، و دراسة الظواهر البديعية اللفظية، و قد نتج عن هذه الجهود اكتشاف نظرية النظم عند الجرجاني، و لقد وضع ثلاثة علوم تتمثل هذه الاتجاهات في: البيان و المعاني و البديع، و هذه العلوم يجمعها إطار مشترك و هو " العلاقة بين الاختيار الأسلوبي باعتباره رمزا و بين المعنى " [32].

وهي إحدى مجالات علم اللغة الذي يعرف بالبحث بالدلالة لكونها أداة التعبير والتفاهم.

ويظهر لنا من خلال ما ذكر ان للقوالب الصرفية دورها البارز في تقديم جزء من المعنى، و قد يحدث في بعض الأحيان أن تختلف هذه القوالب الصرفية دون ان يكون هذا مفضيا إلى اختلاف في المعنى، و من ذلك مجيء صيغة فعل و أفعل بمعنى واحد في بعض الأحيان.

وتتضح جليا ثنائية اللفظ والمعنى بمفهومها الواسع في تحليل النحاة في مسائل الأبواب، تسود على وجه الخصوص حديثهم عن مقدمات التأليف النحوي الثلاث:

وحدات القول، الاعراب و البناء النكرة و القواعد التي تقوم على اللفظ و المعنى .

[31] محمد رضوان، نظريات في اللغة ، مطابع الحقيقة بنغازي ، الطبعة الأولى سنة 1976 ، ص : 396 .
[32] تمام حسان ، الأصول ، دراسة أبستمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1982 ، ص: 346

الفصل الأول: تفضيل اللفظ على المعنى وتفضيل المعنى على اللفظ ووحدتهما والعلاقة بينهما

- تفضيل اللفظ على المعنى
- تفضيل المعنى على اللفظ
- الجمع بين اللفظ والمعنى
- وحدة اللفظ والمعنى
- تحميل لفظ المعاني (وجهت نظر البلاغيين)

تفضيل اللفظ على المعنى:

تعد قضية اللفظ والمعنى من القضايا النقدية والفكرية التي شغلت النقاد والمفكرين قديما وحديثا، والواضح أن الأراء النقدية التي تناولت هذه القضية بالدرس والتحليل، كانت قاصرة عن تمثيل طبيعة العلاقة الجدلية بين اللفظ والمعنى، حيث قام بعض والبلاغيين في إعلاء شأن اللفظ وجعل المزية له وحده، كما اهتم البعض الآخر بالمعنى على حساب اللفظ.

وأول من قدح شرارة هذا الجدل الجاحظ (ت:255هـ)تعلقا منه بمذهب الصيغة , وتعصبا للفظ , ومشايعة للصياغة سواء فيما رآه وقرره, وبما نقله وأقحمه من أراء العلماء والأدباء والنقاد؛ وهو في كل ذلك يضع الأناقة والجودة والجمال في الألفاظ , فالمقياس عند الجاحظ للقيمة الأدبية إنما هو جزالة اللفظ , وجودة السبك , وحسن التركيب حيث يقول : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والقروي , والبدوي , إنما الشأن في إقامة الوزن , وتخير اللفظ , وسهولة المخرج , وفي صحة الطبع وجودة السبك"[1].

فالجاحظ فضل اللفظ الذي يدعوا إلى حسن صياغته، وجودة سبكه , وسهولة مخرجه .

حيث كان عصر الجاحظ يشهد بوادر حملة عنيفة يقوم بها النقاد لتبيان السرقة في المعاني بين الشعراء ولا نستعد أن يكون الجاحظ قد حاول الرد على هذا التيار مرتين .

[1] الجاحظ: الحيوان، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى , ص131-132.

مرة بأن يشغل نفسه بموضوع السرقات كما فعل معاصروه، ومرة يقرر أن الأفضلية للشكل لأن المعاني قدر مشترك بين الناس جميعا، فقد كان يحسن أن المعنى موجود في كل مكان وما على الأديب إلا أن يتناوله ويصوغه صياغة متفردة.

فمقولة الجاحظ استند إليها كثير من الباحثين في إثبات الفصل بين اللفظ والمعنى , بل إن بعضهم يرى تقسيم نقاد العرب إلى قسمين لفظيين أو أنصار اللفظ , يجعلونه وحده هدف البليغ , ويدعون البلغاء إلى العناية به وحده ,ويضعون الجاحظ على رأس هذا الفريق , ومعنويين أو أنصار المعنى , يجعلونه له المكانة في النص الأدبي , ويضعون على رأس هذا الفريق عبد القاهر الجرجاني[1] .

فالجاحظ في نقده هذا يرى المعاني موفورة لكل إنسان , ويرجع ناحية اللفظ على ناحية المعنى صراحة , وهو إنما يقصد بالمعاني المعاني العامة , كوصف الرجل الكريم بالبحر وما أشبه ذلك ولا يريد بها المعاني التفضيلية الجزئية , ولا هذه المعاني الثانية التي يسميها عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى والتي الصور التي يبرز فيها المعنى البدائي في ثوب مزركش[2].

فالعسكري معني بالهيكل وأناقته , ومفتن بألفاظ و إطارها باعتبارها الوسائل التي يتفاضل بحسن اختيارها الأدباء ,وهو يحكي ما قرره الجاحظ ويتناول بالكشف والإيضاح , ولا جديد عنده عليه , فهما إذا يصدران عن قاعدة واحدة تشكل هذا الرأي الخاص , ولعلى

[1] بدوي أحمد : أسس النقد الأدبي عند العرب, دار نهضة مصر للطبع والنشر , القاهرة 1979,ص 357.
[2] الحمصي ، البلاغة بين اللفظ و المعنى ، ص :446.

مرد هذا الرأي في تعصبهما الظاهر للفظ وإنما يرجع إلى دوافع نفسية وسياسية وعصبية قبلية , وإن صح هذا فهذه الدوافع لا تشكل حكما علميا مجردا , ولنعرج على هذه الدوافع

الدافع النفسي لاشك في أن اللفظ الرقيق، والجرس الناعم والتركيب الناضج , مظاهر تسيطر على النفوس فتجذب نحوها إنجذابا , وجزالة الأسلوب تهيمن على القلوب فتنبهر بها وتنساق إليها , سيرا ووراء لهذا المظهر البراق, ولعلى الجاحظ والعسكري قد إفتتنا بهذا المظهر فيسطر عليهما نفسا حتى عاد ذلك قناعة ورأيا , فكانت آراؤهما تعبيرا عما يعتقدان.

الدافع السياسي كانت السلطة الزمنية ما بين عصري الجاحظ والعسكري مزدهرة بالترجمة والتأليف والكتابة و أصول البيان , وكان الخط السياسي معنيا بتقويم الكتاب , فعليهم تقول أركان الدولة ,بهم تتفاخر الأمراء والوزراء والولاة , والكتاب إنما يتميزون بالأداة الصالحة والمهارة الفنية , وهما يستقيمان باللفظ والتحكم فيه , وإخصاع تلك المهارة لأغراض الدولة ومتطلبات السلطان , وليست أغراض الدولة أغراضا علمية فتحتاج إلى عمق المعاني وموضوعية البيان , وإنما هي أغراض سياسية تحققها الألفاظ , فالجاحظ والعسكري وأنصارهما قد تجاهلوا وتراثهم العقلي راغبين أو راهبين .

الدافع القومي ومرده في إعطاء هذا الرأي وبخاصة الجاحظ هو محاولة دحض مزاعم الشعوبيين الذين حاولوا تفضيل نصوصهم الأدبية على النصوص العربية بكثرة معانيها, وتدفق أغراضها , وتعدد موضوعاتها , فكان رد الفعل لدى النقاد العرب هو التقليل من قيمة المعاني و إعطاء القيمة للصناعة اللفظية.

أبو هلال العسكري تبعه على هذا الرأي وحذا حذوه , وسلك منهجه حتى تقاربت الألفاظ ,

وتشابهت العبارات, فتراه في فصل يعقد لذلك, وهو الفصل الأول من الباب الثاني من الصناعتيين, يقول " الكلام –أيدك الله _ يحسن بسلاسته, وسهولته , ونصاعته وتخير ألفاظه وإصابة معناه , وجودة مطالعه , ولين مقاطعه , و إستواء تقاسيمه , وتعادل أطرافه,وتشابه أعجازه بهواديه, ومواقفه مآخيره لمباديه , حتى ليكون في الألفاظ أثر, فنجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه , وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه .

ومما هو فصيح في لفظه جيد في رصفه قول الشنفرى :

أطيل مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه القلب صفحا فيذهل

ولولا إجتناب العار لم يلف مشرب يعاش به إلا لدي ومأكل

ولكن نفسا مرة ما تقيمني على الضيم إلا ريثما أتحول[1]

فمعيار سلامة الكلام عنده تنحصر في سلامة اللفظ وسهولته ونصاعته, وجودة مطالعه, ورقة مطالعه, ورقة مقاطعه ,وتشابه أطرافه وما نسجه على هذا المنوال وفي هذا الهدف,أما إصابة المعنى (فليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا)[2].

[1] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، دار إحياء الكتب العربي ،عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ص:140.

[2] _أبو هلال العسكري : الصناعتين

ثم يعزز رأيه بأمثلة يختارها تعنى بالصياغة اللفظية , تاركا وراءه المعاني , عزفا عن قبولها حسنا , فهي مبتذلة يعرفها العربي والعجمي كما عبر عن ذلك الجاحظ.

فالجاحظ كان صريحا في تفضيله الجانب الشكلي من الخطاب الأدبي المتمثل في الوزن , واللفظ والصياغة على المضمون , وربما كانت هناك عوامل كثيرة دفعت الجاحظ إلى القول بهذه النظرية منها ما يرجع إلى المناخ الأدبي والنقدي السائد في عصره ومنها ما يرجع إلى طبيعة التكوين الثقافي للجاحظ.

وأيا تكن الأسباب التي دفعت الجاحظ إلى الإعلاء من شأن اللفظ على حساب المعنى , فإن الذي لا شك فيه هو أن رأي الجاحظ هذا كان له أثر كبير على من جاء بعده من النقاد , أسهم في تكريس الفصل بين اللفظ والمعنى , أو الشكل والمضمون في العمل الأدبي .

وفي الإيطار نفسه يرى الجاحظ ألا قيمة للمعنى بدون لفظ لأنه يظل مستورا خفيا , حبيس خلجات النفوس , ومكنونات الصدور , فحياة المعنى ونشاطه وحركيته متعلقة باللفظ , وبدون هذا اللفظ يظل مواتا وعدما .

فالجاحظ هنا يطرح علاقة اللغة بالفكر , إذ لا قيمة للفكر ؛ بل لا وجود له أصلا بدون لغة, لسبب بسيط هو أننا لا نستطيع أن نفكر بدون لفظ , ويمكن أن نشرح ذلك بالمعادلة التالية

اللغة قبل اللسان فكر *** و الفكر بعد اللسان لغة .

ومن هنا يكون اللفظ (اللغة) أداة تواصل وإتصال بين الناس .

وإذا كان الجاحظ قد نادى بأفضلية اللفظ على المعنى إلا أننا بالمقابل نجدله نصوصا أخرى تدل على أنه يميل إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى , وأنه كما يتفاوت اللفظ يتفاوت المعنى ؛ فالمعنى فيه ما هو شريف , وفيه ما هو حسن فمن " أراد معنى كريما , فليلتمس له لفظا كريما , فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"[1].

الجاحظ كان ماهرا في تذاكيه على القارى للهروب من عملية التصنيف والفرز , فحديثه عن اللفظ والمعنى لا يقصد به اللفظ المفرد وحده أو المعنى المفرد وحده , وإشادته الكثيرة باللفظ لا تعني أنه يقدمه على المعنى , لأنه في الوقت الذي كان يشيد فيه بالقيمة اللفظية كان يرى في المعنى .

فالجاحظ كان يوهم بإنتصاره للفظ يفطن دائما إلى الإهتمام بالمعنى فنحن نلمس أن " إهتمامه بالمعنى لا يقل عن إهتمامه باللفظ وقد لاحظنا أنه نظر إلى المعنى على أنه ممتد إلى غاية نهاية النهاية بينما عد اللفظ محدودا , وكانت محدوديته في أنواع خمسة محسوبة لأنها هي وحدها كما قال التي تؤدي المعنى بأنواعه المختلفة , بل المتناقضة أيضا[2]"

إلا أنه يصر من جديد على إبهام القارئ بميله إلى اللفظ فيقول : ومتى كان اللفظ كريما في نفسه , متميزا من جنسه , وكان سليما في الفضول وبريئا من التعقيد حبب إلى النفوس وإتصل بالأذهاب , ,إلتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع وإرتاحت له القلوب وخف على

[1] _الجاحظ: البيان والتبين، مكتبة فضاءات الفن ، طبعة الثانية ، بيروت .
[2] _الرباعي ربي :المعنى الشعري وجماليات التلقي , دار جرير , عمان , 2006, ص134.

الألسن وشاع في الأفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم والرياضة للمتعلم الريفي"[1].

وخلاصة الأمر في أراء الجاحظ التي تبدوا كأنها متناقضة أن الرجل مهما بدا متناقضا أو حادا , إلا أنه لا يحرؤ أبدا على فصل ميله وحكمه النقدي وإنجازه لطرف دون الآخر , فهو يستند إلى منطق متوازن مع أن الاضطراب يشوب هذا التوازن أحيانا فهو مرة أخرى ليس مع اللفظ منفردا كما أنه ليس مع المعنى منفردا , وإنما هو معهما معا في نص مسبوك , سبكا محكما يتفاعلان فيه ويتكملان به بحيث يستند أحدهما الآخر على سلامة الطبع وما يحتكم هذا كله منطق واضح وفهم جلي وعقل مستند إلى شعاره الثابت (لكل مقام مقال)ولكل صناعة ما يشاكلها من ألفاظ[2].

تفضيل المعنى عن اللفظ:

ومن بين الذين أكدوا أولوية المعنى على اللفظ أبو حيان التوحيدي , إذ نجده يعيب على بعض الكتاب إحتفالهم باللفظ , وإهمالهم المعنى كما نجده يجعل المعنى على رأس عناصر الإبداع الأدبي فيقول : "ويجب أن يكون الغرض الأول في صحة المعنى , والغرض الثاني في تخير اللفظ , والغرض الثالث في تسهيل النظم , وحلاوة التأليف , وإجتلاب الرونق"[3].

[1] _الجاحظ : البيان والتبيين ، مرجع سبق ذكره ، ص : 28.
[2] -المرجع نفسه ,ص141.
[3] - أبي حيان التوحيدي :الإمتاع والمؤانسة, الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1990,ص152.

غير أن التوحيدي لم يتوسع في شرح رأيه والتبرير له,وإن كان يرتب على هذه القضية , ورأيه فيها تقييمه العمل الفني , وتحديده نوعية الأدب الذي يفضله , وهو الأدب الذي يجمع بين العقل والفن , وإن شئنا قلنا "الفائدة والإمتاع ", حيث الفائدة المتحققة في المعنى , والإمتاع المتحقق في اللفظ .

ولابد أن نشير إلى أن التوحيدي بتأكيده على ألوية المعنى لا يهمل اللفظ حيث يرى ضرورة التوازن اللفظ والمعنى والتحامهما في الخطاب الأدبي .

جودة اللفظ عند التوحيدي أحد العناصر الرئيسة الثلاثة التي يتشكل منها الخطاب الأدبي إلى جانب صحة المعنى , وحسن النظم .

هو يؤكد هذه الحقيقة بقوله : "ولا تعشق اللفظ دون المعنى , ولاتهو المعنى دون اللفظ"[1].

وذلك من خلال التكامل بين ركني العملية الإبداعية :الشكل والمضون , وإدراكا ومنه بأن اللفظ وإن كان مجرد وسيلة لا غاية في حد ذاته , فإنه يجب أن يولي من العناية ما يجعله يؤدي المعنى في دقة وعمق وجمال.

الجمع بين اللفظ والمعنى:

[1] - مرجع نفسه , ص160.

ذهب بعض من النقاد إلى الجمع بين اللفظ والمعنى مقياسا في البلاغة ولما له من قيمة فنية فأخذ بعضهم إلى الجمع بينهما بإعتبارهما متلازمان لايمكن تحديد جودة أحدها على الآخر أو قبحه ,قد يتساويان في الجودة والقبح وقد يفترقان.

ومن بين هؤلاء النقاد ابن قتيبة (ت:276هـ) الذي ذهب إلى الجمع بين اللفظ والمعنى مقياسا في البلاغة ,وميزنا للقيمة الفنية , فرى أن الشعر يسموهما وينخفض تبعا لهما.

فابن قتيبة والجاحظ اتفقنا في موقف واختلفا في موافق أخرى, فقد اختلافا في نظر إلى مشكلة اللفظ والمعنى فالجاحظ انجاز إلى اللفظ أما ابن قتيبة ذهب إلى التسوية بينهما , ولهذه القضية ركنان (اللفظ والمعنى) ومميزان (الجودة والرداءة).

فقد قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أضرب وهي:

ضرب حسن لفظه وجاد معناه.

ضرب منه حسن لفظه وحلا, فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

ضرب منه جاد معناه , وقصرت ألفاظه[1].

ضرب منه تأخر معناه , وتأخر لفظه .

فاللفظ والمعنى عند ابن قتيبة يتعرضان معا للجودة والقبح , ولامزية لأحدهما على الأخر , ولا استئثار بأولوية لأحد القسمين .

[1] - أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة , الشعر والشعراء , دار الثقافة والنشر والتوزيع , طبعة الأولى, ص7-9.

فقد يكون اللفظ حسنا وكذلك المعنى , وقد يتساويان في القبح , وقد يفترقان ؛ فهو يرى إن لكل من اللفظ والمعنى مدلوله الخاص,فمدلول اللفظ عنده يريد به النظم والتأليف المتمثل في اللفظ المفرد والوزن والروي فحسن اللفظ إنما يعني صحة الوزن , وحسن المعنى فهو يعني الفكرة التي تبين عنها البيت , فهو يعني الفكرة التي يتبين عنها البيتين فهو يعلق على بيتين للمرقش عدهما الأصمعي من مختاراته[1]:

هل بالديار أن تجيب الصمم لوحيا ناطقا كلم

يأبي الشباب الأقورين ولا تغبط أخاك أيقال حكم

فيعلق ابن قتيبه على هذين البيتين فيقول: " والعجب عندي من الأصمعي إذا أدخله في متحيزة وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متحيز اللفظ ولا لطيف المعنى.."[2]

فالمسألة إذن مسألة صلة بين اللفظ والمعنى وعلاقة الجودة في كليهما في المفضلة وهذا يعني إن المعاني نفسها تفاوتت وإنما ليست كما زعم الجاحظ (مطروحة في الطريق) ويستكشف من أمثلة ابن قتيبه إن المعنى عنده قد يعني الصورة الشعرية مثلما يعني الحكمة ولكن هذه الأمثلة نفسها تشير إلى أنه يستمد حكمه من بيت واحد أوبيتين أوثلاثة في الأكثر.

[1] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن للهجري ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الأولى ص:104.

[2] قصي الحسرة : النقد الأدبي عند العرب و اليونانية معلمة و إعلامه المؤسسة الحديثة لبنان 2003 ، ص: 331.

وإذا وافقنا ابن قتيبة في تقرير الموضوع الموضوع الأصل وهو سليم جد, فالموضوع الأصل وهو سليم جدا, فإننا يمكن أن نخالفه في تطبيق الحكم على النماذج التي اختارها دليلا على صحة دعواه , ولاسيما في الضرب الثاني الذي حسن لفظه وقصر معناه , فإنه يستشهد بهذه الأبيات[1] :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخدنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباح

ثم يعقب عليها ناقدا ومعلقا بقوله : "هذا الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ,إن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته :ولما قطعنا أيام منى , واستلمنا الأركان, وعالينا إبلنا الأنصاء , ومضى الناس لاينتظر الغادي الرائح ,ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح "[2].

فابن قتيبة يحكم على سذاجة المعنى ,ويدعي في الألفاظ سلس العبارة وجودة المخارج, وحسن المقاطع , ولكننا يمكن أن نخالفه في موضعين :

اعتبار الألفاظ في سياقها جيدة المخارج والمطالع .

[1] ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ، دار الثقافة و النشر و التوزيع ، طبعة الأولى ، ص : 210.
[2] ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ، دار الثقافة و النشر و التوزيع ، طبعة الأولى ، ص: 210.

إن المعاني التي عابها , ونثرها نثرا, لا حاجة إلى بيان ما اشتملت عليه من الرقة وسلاسة ولاسيما في البيت الثالث منها.

حيث لم يعدم ابن قتيبة الموافقين له على رأيه, وفيه من الوجاهة ما يدعمه ,فقد سار على منهاجه قدامة ابن جعفر في نقد الشعر وتحدث عن اللفظ والمعنى , وجعلها قسمين في تحمل مظاهر القبح وملامح الجودة فيها أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني[1].

حيث أن قضية اللفظ والمعنى لم تتناول العمل الأدبي كله بحث، بحيث تتطور إلى (الشكل والمضمون) ولا هي استطاعت أن تقترب مما يسمى (الصلة الداخلية) بين هذين، ولعلها كانت ذات أثر بعيد في صرف النقد عن تبين وحدة الأثر الفني في مبناه الكلي غير أنها رغم ذلك اسم من الانحياز السافر إلى جانب اللفظ إلى جانب معادلة اللفظ والمعنى وفق ابن قتيبة عند قسمة ثنائية في النظرية الشعرية فقد كثر الحديث في عصره عن الطبع والتكلف فتناولهما ابن قتيبة بالتفسير والتمثيل[2].

قدامة ابن جعفر رأى أن المعاني كلها معروضة للشاعر, وله أن يتكلم منها فيها أحب وآثر, من غير أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة

[1] قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ت : عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص: 13.
[2] احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري ، دار الثقافة بيروت الطبعة أولى 1971 ص:109.

الموضوعية والشعر فيها كالصورة[1] , وفيه ملامح التأثر واضحة وخاصة في قوله :المعاني معروضة للشاعر .

أما ابن طباطبا فإنه رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الروح والجسد فهو إذن سار خط ابن قتيبة في ذلك الخط , لأنه لم يقتصر في العلاقة بينهما على الوجوه الأربعة التي ذكرها ابن قتيبة , أن يحرر نفسه من التقسيم المنطقي , إلا أنه وقع في نفس الخطأ من حيث لا يشعر , حيث شغل نفسه بتقسيمات للشعر تقوم أولا على المعنى ثم اللفظ ثانيا[2].

وحدة اللفظ والمعنى :

ابن رشيق القيرواني (ت:456هـ) اعتبر اللفظ والمعنى شيئا واحدا متلازما ملازمة الروح للجسد , فلا يمكن الفصل بينهما بحال , حيث يقول :" اللفظ جسم , روحه المعنى , وارتباطه كارتباط الروح بالجسد : يضعف بضعفه , ويقوى بقوته , فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ...فإذا اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه"[3].

يرى ابن رشيق أن اللفظ والمعنى شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما فارتباطهما كارتباط الروح بالجسد فالألفاظ أجسام ومعاني أرواح.

---

[1] مريم محمد جاسم المعجمي : نظرية الشعر عند الجاحظ ، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن 2009،2010 طبعة الأولى ص:128.

[2] ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ت : طه الحاجري ، طبعة : المكتبة التجارية ، ص:49-106.

[3] ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ص : 113.

يظهر لي أن هذا النوع من التعقيد أقرب إلى القصد والاعتدال منه إلى التمحل والتعقيد، فالصورة عند ابن رشيق لا تكون واضحة الرؤية خصبة التخطيط إلا من خلال عنايتها باللفظ لتجعله الوسيط الدال على المعنى المراد لتأكيد الصلة بينهما، لأن التفكير في اللفظ والمعنى تفكير جملي يفكر فيه الأديب مرة واحدة وبحركة واحدة، فإذا رتبت المعاني في الذهن ترتيبا منطقيا .

حيث تحددت في الفكر تحديدا يجمعه ترابط المعاني وتداعيها, هذا الترابط وهذا التداعي الذي يرضاه المنطق أو يرضاه تصور الأديب, انحدرت هذه المعاني على اللسان بألفاظها الملائمة بها خطابة , وانحدرت على القلم بألفاظها المطاوعة لها كتابة وشعرا من غير تهذيب واختيار لهذه الألفاظ .

حيث اختطى ابن رشيق هذا المنهج مما جعله ينجذب إليه نفوس قسم من النقاد القدماء والمعاصرين , وفي مقدمة النقاد القدماء ابن الأثير الذي يرى أن عناية العرب بألفاظها إنما هو عناية بمعانيها لأنها أركز عندها وأكرم عليها , وإن كان يعترف بأن عناية الشعراء منصبة على جانب اللفظي , ولكنها وسيلة لغاية محدودة وهي إبراز المعنى صقيلا , فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها , ورققوا حواشيها , وصقلوا أطرافها , فلا تظنن أن العناية ذلك إنما هي بألفاظ فقط, بل هي خدمة منهم للمعاني[1] .

[1] عادل هادي حمادي العبيدي قضية اللفظ و المعنى ، كلية الآداب ، جامعة الأبيار ، العدد 201، 2012 ص:7.

فهذه المحاولة من ابن الأثير لا تفسر الإقتداء بخطوة ابن رشيق هي وإن لم تصرح بمزج اللفظ والمعنى في قالب واحد , ولكنها تشير إلى قيمة المضمون والشكل معا في صقل الصورة , وتلمح إلى طبيعة التلاؤم بينهم.

حيث لقي الاتجاه ترحيبا وانتشارا عند عدد كثير من النقاد والمحدثين , وإن لم يثبت إطلاعهم عليه , لأنهم لا يشيرون إلى مصدره وكأنهم مبتكرون ؛ فربطو ا بين اللفظ والمعنى حتى لتبادر لك أنهما شيء واحد . وعملوا على تطوير نظرتهم هذه وصعدوا بها إلى مستوى الحقائق الثابتة من خلال إشباع البحوث إستدلالا , ونسخا على منوالها , حتى إخذت طريقها إلى مستوى النظريات المادة [1].

حيث ينظر إلى الألفاظ بأنها أساليب إلى المعاني بأنها أفكار , ثم يخطى القائلين بفضل الألفاظ عن هذه المعاني .

يرى دونالد استوفر بإتحاد الشكل والمحتوى فيهما شخصية واحدة لا يمكن أن ينظر إلى أجزائهما في استعابها وتحديد النظرة الفاحصة لها يقول: «إن القصيدة تتبع بشخصية متماسكة حية, وأنها وحدة تتألف من عناصر مختلفة كثيرة , وهي متماسكة ومتوازنة , من حيث الشكل والمحتوى بل يتداخل فيها الشكل والمحتوى على نحو لا يمكن معه تصور كل منها على حد".

[1] Wlim Fantou conor : critique littéraire.

دونالد استوفر يرى أن باتجاه اللفظ والمعنى تكون القصيدة متوازنة حيث لا يمكن الفصل بينهما باعتبارهما وحدة واحدة , فوحدة الشكل والمحتوى عنده تجعل القصيدة ذات جمالية فنية.

"ويعتقد الناقد الأمريكي كلينث بروكس باستحالة فصل المادة عن الشكل وبالعكس في أي حال من الأحوال لأن تركيبها قد اتخد فلا يبرز إلا كلا موحد , فيقول:" إن جوهر القصيدة لا يبرز إلا كلا موحدا , أي يستحيل علينا تجريد الجوهر وصياغته في الشكل آخر , لأن الجوهر في هذه الحالة هو المركب الجديد من بناء لا ينفصل عن موسيقاه , والصور والدلالات المتشابكة والمواقف المعينة , أي القصيدة ذاتها".

هذه هي نظرة النقاد الغربيين إلى اللفظ والمعنى , فاستقبلنا النقاد العرب المحاصرين وجدنا الفكرة أعمق رسوخا , وأصلب عودا , والنظرة أغوص إمعانا , وأكثر ذيوعا , تارة بالاتحاد بينهما وأخرى بعدم الانفصال وثالثة بوحدة المؤدي بين الشكل والمحتوى .

يرى الأستاذ أحمد الشايب عدم إمكانية فصل القيمة الفنية بين اللفظ والمعنى ويرى كلا منهما انعكاسا للأخر بسبب شدة الارتباط بين المادة أو الصورة أو بين الفكرة والعاطفة من ناحية , والخيال واللفظ من ناحية ثانية ,وأي تغيير في المادة يستتبع نظيره في الصورة والعكس صحيح[1] .

الأستاذ أحمد شايب يرى بأن لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى لأنهما يحملا قيمة فنية.

[1] أحمد شايب ، أصول النقد الأدبي ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ص :246

الدكتور بدوي طبانة يرى أن اللفظ والمعنى حقيقتان متحدتان , ومنزلتهما واحدة لا تمايز بينهما , والعناية بأحدهما عناية بالطرف الآخر , والاهتمام يجب أن يقسم بالتساوي لأنه اهتمام بالعمل الأدبي وزنة للقيمة الفنية وليست منزلة المعنى دون منزلة اللفظ في تقدير القيمة الفنية للعمل الأدبي , ولا شك عند المنصفين أو وجوب مراعاة جانب المعنى لا يقل شأنا عن وجوب اللفظ الاهتمام بألفاظ[1].

من خلال رؤية الناقد بدوي طبانة للفظ والمعنى يرى أنهما حقيقتان متحدتان ويحتلان منزلة واحدة , ويحملان قيمة فنية للعمل الأدبي .

فرأي ابن رشيق واضح , هو التسوية بين اللفظ والمعنى عنده عالية ,ومطلقة .

حيث اتفق ابن الأثير مع ابن رشيق في التلاؤم والاتفاق الذي أظهره وبينه الأخير بين اللفظ والمعنى , وتأثر به ابن الأثير فيقول : " الذي يرى أن عناية العرب بألفاظها إنما هو عناية بمعانيها , لأنها أركز عندها وأكرم عليها , وإن كان يسوغ , بل يعترف أن عناية الشعراء منصبة على الجانب اللفظي , ولكنها وسيلة لغاية محمودة وهي إبراز المعنى صقيلا, فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها , ورققوا حواشيها , وصقلوا أطرافها , فلا تظن أن العناية إنما هي بألفاظ فقط ,بل هي خدمة منهم للمعاني"[2].

[1] عادل هادي حمادي العبيدي ، قضية اللفظ و المعنى ، كلية الآداب ، جامعة الأبيار ، العدد 201، 2012 ، ص: 7

[2] ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي يدوي طبانة ، المثل السائر ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع الفجالة ، القاهرة ، ط2 ، ص: 353.

إذن فابن الأثير ربط المعنى باللفظ تماما, وبين كسابقه ابن رشيق أن أي عناية تقدم للفظ فهي في حقيقتها للاثنين للفظ والمعنى , وليس فقط للفظ .

ولكن يلاحظ تأكيده في قول آخر على أهمية المعنى فيقول :"فالعرب إنما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها , فألفاظ إذا خدم المعاني , والمخدوم لاشك أشرف من الخادم , فاعرف ذلك وقس عليه "[1].

واستنادا لهذا القول يظهر أن ابن أثير قد أيد المعنى كذلك في قوله هذا .

العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى :

مثلها عبد القاهر الجرجاني (ت:) في كتابيه(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) فقد هذب عبد القاهر الجرجاني من المفاهيم المرتجلة لدلالة الألفاظ والمعارف وأقامها على أصل لغوي وعلمي رصين , وأدرك مسبقا سرا العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى , ورفض القول بإيثار أحدهما على الآخر , واعتبرهما بما لهما من مميزات وخصائص واسطة تكشف عن الصورة , فقال:"بالنظم تارة , وبالتأليف تارة أخرى , مما لم يوفق إليه الفرقاء في النزاع , والملاحظة عنده أن النظم عبارة عن العلاقة بين الألفاظ والمعاني , وأنها تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[2].

[1] المصدر نفسه ، ص :342.

[2] عادل هادي حمادي العبيدي ، قضية اللفظ و المعنى ، كلية الآداب جامعة الأنبار ، مجلة العدد 201 ، سنة 2012 ، ص : 208..

ولقد تصدى عبد القاهر لكل النقاد الذين سبقوه من حيث انحياز بعضهم للفظ على حساب المعنى , واستهجن مواقفهم تلك , وكذلك الحال فقد تصدى للذين انحازوا للمعنى على حساب اللفظ , واستهجن مواقفهم ,بل إنه هاجمهم.

ولقد كان واضحا جريئا في رأيه هذا , يقول :" واعلم أن الداء الدوى والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ , وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى , يقول : ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه , فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادرا "[1].

فالجرجاني يرى أن للفظ والمعنى علاقة فهما متلازمان تربطهما علاقة واحدة.

إن الجرجاني بوعيه النقدي الثاقب. يحاول أن يجد مخرجا للجاحظ الذي أطلق فكرة (المعاني المطروحة في الطريق), ولعله ترجم مراد الجاحظ في هذا الفهم من خلال منطلقات نظرية النظم التي ابتدعها , وهو بهذا يقرر رأيه في مشكل اللفظ والمعنى مرة أخرى من خلال مبدأ التفاوت بين الشعراء , يقول : " ولكن الناس درجوا على أن يقولوا هذا شاعر قد أتى بالمعنى بعينه إلا كان ذلك تكرارا تاما لعبارات الشاعر الأول وفي هذا نفسه ما يدل على ميزة النظم لأنها هي التي تحقق ذلك التفاوت"[2].

[1] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ت: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ، سنة 1992 ، ص: 178.
[2] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ت: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ، سنة 1991 ، ص: 102

يرى أن قضية اللفظ والمعنى مرتبطة بالتفاوت بين الشعراء من خلال أن الشاعر يأتي بالمعنى بعينه إلا إذا كان تكرارا لعبارات الشاعر الأول , في هذا ما يدل على ميزة النظم.

حيث يعود عبد القاهر الجرجاني بالنظم إلى أصل قائم على أساس علم النحو ,وطبيعي أن النحو يعنى بيناء الكلمة وإعرابها , ومعرفة هذه الصيغة .

وإن كانت منصبة على اللفظ ,فإنها ترتبط بمعنى اللفظ في وضعه بمكانة من المعنى المراد,لأن المعاني لا يحل إبهامها ما لم يقصد إليها من خلال الألفاظ , والألفاظ لا يفهم مؤداها ما لم تضبط صياغة وتصريحا ونحوا ,بناءا وإعرابا على حد سواء ,وهما متعاونان معا على كشف العلاقة التي عبر عنها بالنظم وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو , وتعمل على قوانينه وأصوله , وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ , وتحفظ الرسم التي رسمت لك فلا تخل بشيء[1].

بالإضافة إلى ذلك متخذا التشبيه والمجاز والإستعارة مضمارا لشرح آخر آرائه , وميدانا لاستدراكاته على اللفظ , وأن النظر إلى هذه المقومات اللفظية بأقسامها وأنواعها لا يعود لألفاظها فحسب ,وإنما للمعاني وما تضفيه على الألفاظ مما يكون حسن النظام وجوده التأليف , وهو العلاقة المرتبة على فهم القسمين اللفظ والمعنى[2].

[1] عادل هادي حمادي العبيدي ، قضية اللفظ و المعنى ، كلية الآداب جامعة الأنبار ، العدد 201 ، 2012 ، ص :209.
[2] المرجع نفسه ، ص: 209.

يعتبر عند عبد القاهر سمة المعنى الذي وضع له إذ يقول:"وليت شعري , هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني ؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها , أو ليست هي سمات لها أوضاعا قد وضعت لتدل عليها فيكف يتصور أن نفس المرء الألفاظ وليس العكس لأنه لو جاز ذلك أن تكون أساسي الأشياء ,قد وضعت أن عرفت الأشياء , قبل أن كانت وما ادري أن أقول في شيء , يجر الذهبيين إليه على أشباه هذا من فنون كانت أدرى المحال ورديء الأحوال ".

ويتضح لنا جليا من هذا القول أن معرفة المعاني أمر ضروري ومهم لتعلم اللغة والتصرف فيها , ذلك أن الكلام كما يقول الجرجاني هو: "خبر واستخبار وأمر ونهي ولكل من ذلك لفظ وضع له وجعل دليلا عليه فكل من عرف أوضاع اللغة من اللغات عربية كانت أم فارسية وعرف المعنى في كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها , وعلى تأدية أجر اسمها وحروفها فهو بين في تلك اللغة"[1].

فالكلام لا يكون مفيدا طالما لم يكن هناك معنى متواضع عليه عند استعمال الكلمات في تراكيب يمكن للفرد أن يتصرف فيها فالمعنى هو الرابط بين الاسم والمسمى .

وهناك يتضح لنا لا غيرة لدى الجرجاني بالدلالة اللفظية وحدها وهي الدلالة المعجمية والدلالة البنية المورفولوجية .

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز ،ت: محود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، وجدة ،1992 ص: 05.

حيث ينفي عبد القاهر الجرجاني نفيا باتًا أن يقع الترتيب في الألفاظ , كما يخطىء الذين توهموا أن المعاني تابعة للألفاظ بأنهم لما رأوا السامع يستقبل الألفاظ أولًا , ثم يفهم معانيها ظنوا أن المعاني تابعة :" قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع , فإذا رأى أن المعاني لا تترتب في نفسه إلا بترتيب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تبع للألفاظ ...وهذا ظن فاسد ممن يظنه , فإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضح للكلام والمؤلف له "[1].

وأخيرا يحلق الجرجاني في سماء النقد الفلسفي العميق , وهذا ما لم يفطن إليه من قلبه أحد , وربما كان حازم القرطاجني فيما بعد هو إمام هذه المدرسة , لكن الجرجاني يسبق إلى فكرة طريفة هي فكرة معنى المعنى التي تجاوز بها جميع معاصريه و مقدميه في النقد , يقول : " وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى , تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر للفظ والذي تصل إليه بغير واسطة , وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر "[2].

وكخلاصة لما سبق يمكنني القول أن الجرجاني قد توصل إلى إدراك مغزى تنبيه اللغة على مستوى الدلالة كما يمكن اعتباره الباحث الأول للنتائج التي توصلت إليها أحدث الدراسات التي باءت بعده , ومنه ندرك موقفه الحقيقي من اللفظ أو المعنى , فهو يعلم أم المعنى وإن كان الهدف الذي يسعى المتكلم ليوصله إلى السامع , إلا أن اللفظ الجسر والممر إليه لذلك نجده سوى بينهما فهو يقف الوسط لا هو مع اللفظ ولا هو مع المعنى ولكنه مع النظم الذي

[1] علي محمد حسن العصاري ، قضية اللفظ و المعنى و أثرها في تدوين البلاغة العربية ، رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى جامعة الأزهر ، أميرة للطباعة ، الطبعة الأولى 1999 ص 23.

[2] عبد القادر الجرجاني : دلائل الاعجاز ،ت: محود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، وجدة ،1992 ص: 102.

لا يتأتى إلا بهما ولا عزابه في ذلك فاللفظ والمعنى روحان لجسد واحد ألا وهو الظاهرة اللغوية وأسس التعبير.

تحميل لفظ المعاني : (وجهت نظر البلاغيين):

لقد شغلت قضية اللفظ والمعنى عددا كبيرا من البلاغيين , فبحثوا العلاقة بين اللفظ ومعناه,نوع هذه العلاقة , والضوابط التي تحكمها , ولا شك أن أهم ما توقف عنده البلاغيون في دراستهم لهذه العلاقة هو مبحث الحقيقة والمجاز , فقد ميز البلاغيون بين لونين متقابلين من الكلام انطلاقا من الاستعمال غير العادي لها وهو المجاز , وهذا ما عبر عنه الدكتور محمد الحنفاوي يقول :"إن الكلمات المستعملة في تعبير ما إما أن تستخدم في دلالاتها الموضوعية لها في اللغة فيكون الأسلوب من قبيل الحقيقة وإما ينحرف المستعمل لتلك الكلمات في تلك الدلالة الوضعية إلى دلالة أخرى يراها أكثر تمثيلا لمعناه فيكون الأسلوب حينئذ من قبيل المجاز".[1]

فإذا قلنا (جاء الأسد) وقصدنا الدلالة على الحيوان الذي اصطلح على تسميته بالأسد , فإن العلاقة بين لفظ الأسد والحيوان , أو بين اللفظ ومعناه علاقة مواضعه , أما إذا قلنا (جاء الأسد) وكنا نقصد وصف شجاعة (زيد) أو(عمرو), فإن لفظ أسد يدل هنا على المجاز"[2].

[1] محمد الحفناوي : أضواء على الفكر البلاغي ، البيان ، مكتبة الزهراء ، 1988م ، ص :35.
[2] عبد القادر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، ت: محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص: 303.

والمجاز كما عرفه عبد القاهر الجرجاني : " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز , وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع , إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه , وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز."[1]

فالمجاز باعتباره مصطلحا بلاغيا , يعتبر وسيلة فنية يلتجأ إليها للتحرر من الضيق اللفظي, وللاتساع في المعنى وتعميقه , وإلباسه حلة جديدة غير التي عرفها عند التعبير الحقيقي , لذلك حطي بعناية فائقة خصائص فنية , أهمها تحميل اللفظ معاني مستحدثة لا يستوعبها اللفظ نفسه في أصل وضعه الحقيقي.

ولذلك نجد البلاغيين يفرقون بين المعاني والأولى والمعاني الثانية فترتبط بالحالات النفسية والاجتماعية التي يعيش فيها المجتمع أو بعض أفراده .

وإذا تأملنا قوله تعالى :<< والله محيط بالكافرين >>[2].

نجد كلمة (محيط) تتضمن معناها الأصلي وهو الإحاطة , ولكنها على الصعيد المجازي تحمل دلالة بارزة جديدة , تتعدى معنى الإحاطة , التقليدية , فإحاطته تعالى هنا ليست إحاطة مكانية أو جسمية كإحاطة القلادة بالجيدة أو السوار بالمعصم , وإنما هي إحاطة مجازية مطلقة خارجية عن الحدود الإحاطات المتعارفة , فهي " إحاطة ذي القوة بمن ليس

[1] المصدر نفسه ، ص : 304.
[2] سورة البقرة : الآية 18.

له قوة , وذي الحول بمن لاحول له , وكإحاطة ذي الشأن المتعالي , بمن لا يدانيه سيطرة وأعدادا"[1].

كما بحث البلاغيون في نوع العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه بحثوا كذلك في الألفاظ وهيئاتها والمعاني وأحوالها , وحددوا أوصافا للمعنى وأخرى للفظ ,و تعرضوا لما ينبغي أن يتوافر لكل منهما من أسباب الجودة ومظاهر الإتقان , وتعتبر صحيفة بشر بن المعتمر (ت 210هـ) من أقدم النصوص البلاغية التي عالجت قضية اللفظ والمعنى وحددت من أقدم النصوص البلاغية التي عالجت قضية اللفظ والمعنى وحددت أوصافا لكل منهما , وأمدت الشاعر والأديب بالتوجهات التي يسير على هداها في كل حال .

فصحيفة بشر بن المعتمر قد حددت مجموعة من الأوصاف والشروط لكل من اللفظ والمعنى,يستحقان بها مرتبة الفصاحة والبلاغة , فلا يحسن الكلام حتى يكون قد جمع بين العذوبة والجزالة والسهولة , مع السلاسة والنصاعة والشرف , ولعلى أهم ما جاء في هذه الصحيفة تلك الفكرة التي صارت فيها بعد حجز الزاوية في مفهوم البلاغة عند النقاد والبلاغيين , ونعني بها فكرة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) , فالعبرة عند (بشر بن المعتمر) ليست بشرف اللفظ ولا بشرف المعنى , وإنما مدار الشرف هو مراعاة المقام والموازنة بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين : "فتجعل لكل طبقة كلاما , ولكل حال مقاما,

[1] محمد حسين علي الصغير : مجاز القرآن ، خصائصه الفنية و بلاغته العربية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1994 ، ص 93.

حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المقامات على حتى تقسم أقدار المسمعين على أقدار الحالات [1]".

ما يستفاد من كلام البلاغين , أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال لا تتم إلا يستفاد من كلام البلاغين , أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال لا تتم إلا إذا وضح المتكلم أو الشاعر في حسبانه الموضوع أو الغرض الذي يتكلم فيه , بحيث يأتي كلامه متلائما معه مسارا له , كما يضع في حسبانه المخاطب الذي يتوجه إليه بكلامه , فيكيف تعبيره اللغوي وفق الحال التي عليها المخاطب , من علم بالموضوع أو جهل به أو به إنكار له .

ويمكن القول إن البلاغيين بمفهومهم السابق في رعاية المطابقة لمقتضى الحال قد أغفلوا مصدر الكلام نفسه , وهو المتكلم وما يمكن أن تضطرب به أعماقه "من مشاعر متباينة وأحاسيس معقدة تستحوذ عليه ولا يستطيع الإفلات منها , فيأتي كلامه تعبيرا عن ذاته , وتصويرا لمشاعره الكامنة في باطنه باطنه , والواقع أنه لا يمكن إغفاله المتكلم أو التضحية به لحساب الموضوع أو المخاطب "[2].

ومن بين الأوصاف التي حددها البلاغيون للفظ ,الجزالة والاستقامة ومشاكلة اللفظ للمعنى , ويقصد البلاغيون بجزالة اللفظ أن لا يكون بحيث تعريفه العامة إذا سمعته ولا تسعمله في مجاوراتها .

[1] حياة عمارة ، برنامج مقياس النقد العربي القديم ، جامعة تلمسان ، سنة 2016/2015 ، ص:45.
[2] الجاحظ : البيان و التبيين ، مكتبة فضاءات الفن ، طبعة الثانية ، بيروت ، ص : 105.

أما الاستقامة , فأن يكون اللفظ مستقيما من ناحية الجرس أو الدلالة أو التجانس مع قرائنه من الألفاظ التي تحيط به من حيث الجرس الموسيقى , ومن حيث مطابقة معناه لمعاني ما حوله من الألفاظ .

وأما مشاكلة اللفظ للمعنى , فأن يكون اللفظ مشاكلا للمعنى إذا وقع موقعه من غير زيادة ولا نقصان .

ومن الأوصاف التي ارتضاها البلاغيون للمعنى , الشرف والصحة والإصابة في الوصف , أما شرف المعنى , أما الإصابة في الوصف , فأن يذكر المعاني التي هي ألصق بمثال الموصوف وينأى عن المعاني والصفات المجهولة .

وهكذا يتضح أن نظرية الفصل بين اللفظ ومعناه , وقد سيطرت على البلاغين كما سيطرت على النقاد , فشرعوا لكل عنصر مقاييس للجودة والرداءة , وحددوا لكل طرف أوصافه الخاصة به التي تزيده بهاء وحسنا , أو قبحا , بل لقد توسع البلاغيون في النظر إلى الألفاظ في علاقتها بمعانيها , فهناك اللفظ العذب , واللفظ القوي , واللفظ الرقيق المستحب, وهناك اللفظ النابي القلق المستكره , ومن الألفاظ ما يحسن في الرثاء ولا يلمح في المديح , ويستحب في النسيب ويقبح في الرثاء .

وفي المقابل هناك المعنى العميق, والمعنى الخفيف , والمعنى البعيد والمعنى السخيف , والمعنى الجزل, فلكل مقام مقال[1] .

الفصاحة من عوارض الألفاظ أم من عوارض المعاني ؟

ومن المسائل التي شغلت البلاغيين ضمن قضية اللفظ والمعنى مسألة الفصاحة , وهل هي من عوارض الألفاظ , أم من عوارض المعاني , أم لمجموعهما .

فأنصار اللفظ اعتبروها من الصفات اللفظ وخصائصه , وهو ما يشير إليه كلام ابن سنان : " أن الفصاحة على ما قدمنا نعت للألفاظ , إذا وجدت على شروط عدة , ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على الفصاحة تلك الألفاظ , وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف , وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والذم"[2].

وقد اشترط ابن سنان لفصاحة اللفظ شروطا ثمانية نجملها فيما يلي : أن تؤلف اللفظة من حروف متباعدة المخارج لتكون خفيفة على اللسان , وأن نجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية , وأن تكون جارية على الصرف العربي الصحيح في التصرف والاستعمال , وألا تكون الكلمة قد عبرها عنها عن أمر آخره يكره ذكره ,فإذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت ,وأن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف , فإنها متى زادت على الأمثلة

[1] الجاحظ : البيان و التبيين ، مكتبة فضاءات الفن ، طبعة الثانية ، بيروت ، ص : 144.
[2] ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1982 ، ص :63.

المعتادة المعروفة قبحت , وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة , وأن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن كل شيء لطيف أو خفي أوقليل[1].

وقد أنكر عبد القاهر الجرجاني أن تكون الفصاحة من عوارض اللفظ المفرد , لإيمانه بأن فصاحة اللفظ عائدة للمعنى , وأن هذه الفصاحة لا تظهر إلا في بضم الكلام بعضه إلى بعض في جملة من القول , أو في نص من النصوص , وما يدل على ذلك أننا نرى اللفظة فصيحة في مواضع كثيرة ومن ثم فإن المزية التي من أجلها استحق " اللفظ الوصف بأنه فصيح , هي في المعنى دون اللفظ لأنه لو كانت بها المزية التي من أجلها يستحق الوصف بأنه فصيح تكون فيه دون معناه , لكان ينبغي إذا قلنا في اللفظة إنها فصيحة , أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها في كل حال" [2].

حيث يربط عبد القاهر الجرجاني مفهوم الفصاحة بالنظم والتأليف والترتيب , ولا شيء من الاعتبار للفظ وحده قبل أن يدخل في هذا النظم الذي ينتظم به المعنى .

يستعمل الجرجاني الفصاحة مرادفة للبلاغة في جل المواضع يقول : " لا يجوز الاستدلال من وصف اللفظ بالفصاحة دون المعنى إلى المزية فيه ".ويقول أيضا : " الفصاحة في ترتيب الألفاظ حسب المعاني "[3].

[1] المرجع نفسه ، ص : 64.
[2] عبد القادر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ت: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ص : 400-401.
[3] المرجع نفسه ، ص : 50.

وهناك ثلاث نظريات كانت سائدة في سر فصاحة الكلام الأولى نظرية تقول إن الفصاحة في صحة الكلام من جهة التركيب النحوي والنطق. والثانية تقول إن فصاحة الكلام مرجعها الألفاظ , والثانية تقول إن قوام الفصاحة المعاني .

فالقدماء وصفوا اللفظ بالفصاحة دون المعنى لإن هناك فئتين فئة ترى أن الفصاحة في اللفظة المفردة وفي الألفاظ مجتمعة من حيث تلأومها في النطق .

وفئة تشترط أن يكون مع فصاحة الألفاظ وتلأوم الحروف في الكلم دلالة اللفظ .

يظهر لي أن عبد القاهر الجرجاني لا ينصر جانب اللفظ كما لا ينصر جانب المعنى وإنما يرى أن الفصاحة في النظم وأن جمال الكلام يكون بحسن تأدية هذا النظم للمعنى تأدية فيها قوة وجمال وأن ميدان النظم هو المعاني وترتيبها في النفس وليس ميدانه ترتيب الألفاظ فإن هذه تتبع ذلك وتحصل في ذهن بمجرد حصولها، وإنما يكون النظم حسنا بمراعاة قواعد النحو والنحو بمعناه الشامل الذي يشمل الذي علم النحو المعروف وعلم البلاغة .

وهو يهمل جانب الفصاحة اللفظية أو يجعله في درجة الثانية، وذلك ليعدل غلو أنصار نظرية اللفظ وخوفا من يذهب القول بإعجاز القرآن.

الفصل الثاني: كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

- ابن قتيبة العصر الذي نشأ فيه
- مكانة ابن قتيبة في معرفة الشعر
- ماهية كتاب الشعر والشعراء
- القضايا النقدية والأدبية التي تناولها ابن قتيبة في كتابه
- تصنيف كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة
- تجليات المنهج النقدي داخل الكتاب
- موقف ابن قتيبة من قضية اللفظ والمعنى
- آراء الباحثين في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

01- ابن قتيبة العصر الذي نشأ فيه :

عاش أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في عصر العباسي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ولد على عهد المأمون بن الرشيد ، أيام كانت الدولة العباسية في أوج ازدهارها .

حيث واجه المأمون تلك الأحداث ويمكن القول أنه كان مشجعا للعلماء والأدباء مما سبب تلك النهضة الكبرى في ضروب المعرفة وفي علو شأن الفكر وقيام كثير من الحركات الفكرية مثل حركة المعتزلة ، وهكذا عاش في العصر العباسي الثاني.

و قد عاصر ابن قتيبة من الأئمة الأربعة أحمد بن حنبل وكان مذهبه رد فعل لحركة المعتزلة ، ونتيجة لشيوع كثير من العقائد المختلطة الوافدة من الشرق والغرب[1] .

ابن قتيبة في عصره:

نشأته:

هو الإمام البارع المفسر المحدث الفقيه القاضي اللغوي النحوي الأديب الكاتب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أب فارسي من مرو الروز وتختلف المصادر في البلد الذي ولد فيه ابن قتيبة ، فذكر ابن النديم أنه بالكوفة ولد ، وذكر الخطيب البغدادي أنه ببغداد ولد ويبدو أنه بالكوفة ولم يقم بها كثيرا فانتقل في صباه إلى بغداد وأطال الإقامة بها حتى عد من أبنائها ، قد أثرت حياة بغداد في نشأته الفكرية ، تلقي العلم على يد جماعة من علمائها الأجلاء ، فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين مثل : إسحق بن رهويه وتلقى النحو عن جماعة من علماء الكوفة والبصرة مثل : أبى حاتم السجستاني والذي سبقه من اللغوين النابهين من اشتهر بدراسات النحو من البصريين إمامهم سيبويه ، ومن الكوفيين الكساني ، تأثر في شبابه بما يدور في أوساط العلماء من جدل وتناظر بين

[1] محمد زغلول سلام، نوابغ الفكر العربي ، ابن قتيبة ،دار المعارف ، مصر، القاهرة، ص :05.

المعتزلة وأهل السنة و أعجب بالمعتزلة في فجر حياته حكى ذلك في كتابه تأويل مختلف الحديث[1].

ويقال له الدينوري لأنه ولي قضائها فأقام بها مدة اتصل فيها بأولئك المحدثين و الفقهاء ، وتدارس معهم أمور الفقه والدين ، واستمرت حياته العلمية ببغداد وعمل بالتدريس .

عقيدته :

اختلف العلماء اختلافا بينا في ناحية ابن قتيبة الدينية ، فقال شيخ الاسلام ابن تيمية أنه من أهل السنة و الجماعة وذكره في كتاب تفسير سورة الإخلاص : بقوله : وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة ، أبو سليمان الدمشقي ، وغيرهما و ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق و المنتصرين (مذهب السنة المشهورة وله فيها مصنفات متعددة ، ثم قال : "ويقال أنه يعني ابن قتيبة ، لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ... فإنه خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة "[2].

وقال أيضا : " ابن الأنباري من أكثر الناس كلاما في معاني أي المتشابهات يذكر فيها أقوال مالم ينقل عن أحد من السلف ، ويحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة ، وقصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة ، وليس هو علم بمعاني القرآن و الحديث واتباع للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفقه في ذلك ، وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة ، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ اللغة [3].

شيوخ ابن قتيبة :

كان ابن قتيبة متنوع الثقافات غزيرها نال من كل لون حظا طيبا، أخذ العلم من علماء كثيرين مختلفي المناحي [4].

[1] محمد زغلول سلام، نوابغ الفكر العربي ، ابن قتيبة ،دار المعارف ، مصر، القاهرة، ص :10.
[2] شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، تفسير سورة الإخلاص ، ص:81.
[3] المصدر نفسه ، ص:95.

منهم النحوي و اللغوي و المحدث ومنهم رواية الشعر ، أما شيوخه الذين لازمهم و أخذ عنهم يمكن حصرهم في خمسة شيوخ وهم :

أبو الفضل الرياشي ؤ، عبد الرحمن بن عبد الله بن غريب ، إبراهيم بن سفيان الزيادي ، أبو حاتم السجستاني وإسحق بن راهوية .

فابن قتيبة أقتدى به في السلوك وأخذ عنه علوم الدين ، والرياشي كان ضليعا في اللغة والنحو ...

كان ابن قتيبة إماما في النحو و اللغة و العروض و القراءات صادق الرواية فقد اشتغل بالحديث وكتب كثيرا

مؤلفاته (أهمها) :

لقد اتفق العلماء على أن مصنفات ابن قتيبة كلها مفيدة ، وأنها عظيمة القدر ، جليلة النفع ، حتى كان أهل المغرب كما ذكرنا سابقا " يتهمون من لم يكن في بيته من تأليف ابن قتيبة بشيء فهي مؤلفات قد أعطت العلوم منحاها ، و اتجاهها الحقيقي وفق الطرح المنهجي ، وحسن التبويب و التصنيف فذكرنا أهمها على سبيل القصر لا الحصر .

- تفسير غريب القرآن : الذي فيه عني بمحاسن القول في كتاب الله تعالى ، وبيان وجه الإعجاز فيه ، وحلاوة من يقرأه ، منها كتاب تأويل مشكل القران مما في القرآن وكتاب القراءات ، وتأويل مختلف الحديث وإصلاح غلط أبي عبيدة ، وإعراب القرآن ، وجامع الفقه وجامع النحو الكبير و الصغير "[1].

وفاته :

توفي ابن قتيبة بعد أن قضى حياته في خدمة الدين و الأدب سنة وست وسبعين و مائتين للهجرة النبوية على الأرجح ، وكانت وفاته فجاءة قيل أنه تناول هريسة فاسدة فأصيب بالتسمم من جراء فسادها

[1] أحمد مداح : التنظير البلاغي عند ابن قتيبة من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن ، مذكرة لنيل درجة الماجستر في إطار مشروع البلاغة العربية بين التطور و التجديد تحت إشراف د.قدور إبراهيم عمار ، سنة 2011-2012 ، ص: 37.

مكانة ابن قتيبة في معرفة الشعر :

لم يعرف عن ابن قتيبة أنه نظم شعرا ولو كان له شعر لدونه في مؤلفاته.

فيكفي شاهدا لمكانته في معرفة اللغة كتبه في الغريب، وفي النحو و الصرف حسبك أنه أول من جمع بين مذهبي الكوفيين و البصريين فإنه لا يقوم لذلك إلا من أتقن المذهبين وعرف الأصول التي تبنى عليها العلوم و المقاييس عند الفريقين ، أما الشعر فدونك (الشعر و الشعراء) وكلامه فيه وما ذكر في تراجم الشعراء وكذلك ما أختاره في كتاب[1] .

- **ابن قتيبة الناقد:**

تكلم ابن قتيبة في الشعر جيده ورديئة و صحيحة وخاطئة وأقسامه وطبقات تراجم الشعراء وروى أحبارهم و إختار نماذج من شعرهم فكان صوته من الأصوات الأولى التي لفتت الناس إلى هذا الفن كما كان كتابه (الشعر و الشعراء) من المصادر الأولى في الأدب العربي [2].

أسلوبه النقدي:

قال أوائل كتابه الشعر و الشعراء : ،" فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السحيق لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله ولم يقصر الله العلم و الشعر و البلاغة ... " فقد اعتمد على أسلوب نقدي في كتاباته و كان أسلوبه ممتع ، فقد كان ابن قتيبة عادلا منصفا في التمييز بين هذا الشاعر و ذاك و هذا الشعر و ذاك[3] .

1- 2 ماهية الكتاب :

يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه:" أنه أخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم أحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجال ، ويستجاد من شعرهم ، و ما أخذته العلماء عليهم من الغلط و

[1]

[2] عبد الحميد سند الجندي ، إعلام العرب ،ابن قتيبة الناقد و الأدبي المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر ص:102.

[3] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر دار المعارف ، مصر مطبعة الثانية سنة 1982 ، ص: 72-73.

الخطأ في ألفاظهم و معانيهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذو عنهم المتأخرون ، وأخبر فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التي يختار عليها ، ويستحسن لها ، إلى غير ذلك"[1] ، من حيث الحديث ابن قتيبة هذا نستطيع أن ندخل كتابه :

الشعر الشعراء في مجالات ثلاث هي :

1- يدخل الكتاب في عداد كتب التاريخ و السيرة ، وذلك لها ورد فيه من أحبار الرجال وأنسابهم ، وما أورد فيه من ذكر الحروب و الغزوات في تسلسل تاريخي .

2- وهو كتاب أدب من الدرجة الأولى ، إذا أحصى فيه المؤلف ستة ومائتين من الشعراء الجاهليين و المخضرمين والإسلاميين و العبا سيين ثم اختار بعض أشعارهم المأثورة في أغراض متنوعة .

3- وهو كذلك من كتب الأولى ، حيث جمع فيه المؤلف مآخذ العلماء على الشعراء وفخر بعض القضايا الهامة في تاريخ النقد مثل قضية السرقات الشعرية ،ثم تحدث عن أقسام الشعر ووجوه استحسانه .

فلوعدنا إلى ابن قتيبة ليعرفنا على طبيعة كتابه فإننا سنجده مرة يسميه " كتابه الشعراء " وثانية « كتاب الشعر " ، وقد حول هذه التسمية وغيرها من التسميات التي وجدت على مخطوطات الكتاب جدل كثير ،بقبول الرأي القائل بأن ابن قتيبة كان يعتزم أن يجعل هذا العمل في كتابين إلا أن الفرصة لم تواته فجمع بينهما برغم تباعد المنهج و المادة ، فهو في كتاب الشعر مبدع ناقد وفي كتاب الشعراء رواية راوية مؤرخ . لعلى هذا الرأي هو الذي يتمشى مع تسميات ابن قتيبة لكتابه مرة الشعر وأخرى الشعراء ويتضح الأمر بالرجوع إلى مقدمة الكتاب ، إذ يرسم فيها المؤلف المنهج الذي يسير عليه في دراسته ، وهنا يجدر قول بأن هذا هو أول منهج يصلنا في العربية على هذا القدر من الوضوح وفيه يتحدث المؤلف عن مادة كتابه و هي الشعراء وأزمانهم ... و الشعر وأقسامه ووجوه اختياره ... وغايته ، ووسيلته إلى تحقيق هذه الغاية .

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر دار المعارف ، مصر مطبعة الثانية سنة 1982 ، ص:

01- ظروف تأليف الكتاب :

لم تنشر كتب التاريخ والآدب إلى سنة تأليف ابن قتيبة لكتابة الشعر و الشعراء ، إلا أن كتابه كان بلا شك نقلة أدبية في القرن الثالث الهجري ، ** النظر إلى موقع الكتاب في هذا القرن نجده واحدا من أبهات مصادر الأدب العربي ، التي تزخر بها الخزانة العربية .

وهذا الكتاب طبع عدة طبعات ، كان أولها في لندن سنة 1875 وأعيد طبعه سنة 1902 بتحقيق دي غويه ، كما طبع طبعات أخرى ، كأن آخرها الطبعة التي صدرت سنة 1966 بتحقيق أحمد محمد شاكر .

عموما ، فهما تعددت طبعاته ، فإنه كتاب عمدة في مادته المتميزة ، كما يعتبر من مصادر الأدب عنها و التي يشهد لها بالريادة ، ألف إمام لغوي ، و أديب ألمعي ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، على غرار أستاذه ابن سلام الجمحي ..

وقد صاحب تأليف هذا الكتاب مناخا متميزا عرفه القرن الثالث الهجري وتميزه به باعتباره القرن الذي سالت فيه أقلام العلماء آنذاك ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- ابن سلام الجمحي (ت : 231 هـ) : من خلال كتابه طبقات فحول الشعراء الذي ضمن فيه الشعراء إلى طبقات معتمدا في ذلك على معايير من أبرزها الجودة و الكثرة[1] .
- الجاحظ (ت : 255 هـ) : هذا الكاتب وخزانته تغني عن التعريف به ، فقد كان إمام للأدباء و المتكلمين ، وله آراء كثيرة في النقد الأدبي ، خصوصا في مسألة الطبع و التكلف ، وكذا مسألة اللفظ و المعنى .

المبرد : (ت 285 هـ) : كل ما كتبه المبرد من كتب تعبر عن ثقافة عصره من نحو وشعر و لغة ، من خلال كتابه " الكامل " مثلا نجده قد حدد موقفه من الصراع الأدبي الذي نشأ في أوائل العصر العباسي بين أنصار الشعر القديم ، وأنصار الشعر الجديد ، وبذلك فكتاب " الشعر والشعراء " ولم يكن " زهرة برية " وإنما كان مجاريا للحركة التأليف التي شهدها القرن الثالث الهجري ، إلى جانب كل من ابن سلام و الجاحظ والمبرد

[1] المساوي حميد ، و زاهيد عبد الرحمان ، مجلة المغرب الصفحة الرئيسية ، الخميس 7 يونيو 2011م.

وغيرهم [1] والغرض من هذا الكتاب هو التأريخ للشعر ونقده ، فقد أرخ ابن قتيبة فيه إلى نحو مائة وثمان وتسعين شاعرا ، و**، بدءا من العصر الجاهلي حتى حدود العصر العباسي الأول ، كما تضمن الكتاب ما يقرب من ألفي لفظة من الغريب أتى تأليف

ابن قتيبة على شرحها و بيان أوجه استعمالها.

وطبيعي في عصر هذه سماته ، أن ينصب اهتمام العلماء ، على دراسة الشعر لما له من أثر بليغ في الحياة الإنسانية عامة ، والعربية منها على وجه الخصوص .

وغير خاف على ذوي الألباب ، أن " أشعار العرب " هي مضرب الأمثال ، في ال*** وحسن التركيب وقوة الدلالة ، وهي المصدر و السند الذي أقيمت عليه أصول النحو و البلاغة العربيين .

وهي السراج المنير لكل راغب في حيازة علوم القرآن و الحديث النبوي الشريف .

و بخصوص ابن قتيبة فجهده لا ينكر في هذا المجال فكتابه " الشعر و الشعراء" الذي هو موضوع دراستي -كتاب عمدة في مادته ألفه إمام جليل في بيان أحوال الشعر و الشعراء و مقدمته تكاد تكون موضوعا لكتاب ، حيث تزخر بقضايا كانت و لا تزال محط الدراسة لدى الباحثين ، من قبيل اللفظ و المعنى الطبع و التكلف ، بناء القصيدة و غيرها من الأمور التي سيأتي التفضيل فيها في ثنايا هذا البحث ، الذي ارتأيت من خلاله الكشف عن خبايا جميلة من النصوص الخطيرة و الحاسمة داخل الكتاب و كذا الفروق بين ابن سلام الجمحي و ابن قتيبة ، باعتبار الأخير تلميذا للأول .

و كل ما اوردناه من مواقف ليست و حيا و إنما اجهاداتنا المتكاملة و المتواضعة في الوقت نفسه، و ربما الجديد الذي أتى به البحث و الشعر و الشعراء ، و لا ندعي بذلك التمييز و إنما التنبيه.

ونتمنى أن نكون قد كشفنا حقا عن المستور في هذا الكتاب آملين أن نكون عند حسن الظن.

[1] المساوي حميد ، و زاهيد عبد الرحمان ، مجلة المغرب الصفحة الرئيسية ، الخميس 7 يونيو 2011م.

02- القضايا النقدية و الأدبية التي تناولها ابن قتيبة في كتابه :

إن ابن قتيبة الذي عاش أكثر من أربعين سنة بعد ابن سلام و سلكها للمرة الأولى في حياة النقد العربي إنه لم يأخذ بمبدأ الكم – كثرة الشعر بل إنه يعرض بهذا المبدأ بقوله :"و لا أحسب أحدا من أهل التمييز و النظر نظرا بعين العدل و ترك طريق التقليد يستطيع أن يقدم أحدا إلا أن يرى الجيد من شعر غيره "[1] .

و هذا منطق سليم و تفكيره متزن ليت ابن قتيبة التزم به في طيات كتابه ليس ذلك فحسب بل إنه يعرض بالذي يستجيده عصره و شعرهم إذ يقول : " و لم يقصر الله العلم و الشعر و البلاغة على زمن دون زمن ، و لا خص به قوما دون قوم " ، و هذا منطق سليم يدل على موضوعية مطلقة .

و كذلك إذا كان ابن سلام الجمحي هو أول من تحدث عن الشعر المتحول و بين طبيعته و أسبابه ، فإن ابن قتيبة هو أول من أشار إشارة واعية و صريحة لقضية الصراع بين القديم و الحديث في عصره و هي من أول القضايا النقدية التي سنتحدث عنها-

1- الخصومة بين القدماء و المحدثين :

في مقدمة كتابه أعلن ابن قتيبة تمرده على أنصار القديم و هو في تمرده إنما كان يصدر عن نظر فلسفي أكثر من كونه صادرا عن حكم استقرائي من طبيعة الشعر القديم و الحديث و نسبة الجودة في كل منها ، حيث يقول : " و لم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، و لا نظرات إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه و إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل نظرات بعين العدل على الغريقين و أعطيت كملاحظة ، ووفرت عليه حقه"[2].

و هكذا نلاحظ أن ابن قتيبة يسخر بالتعدد بالقديم و من المؤكد أن مثل هذا التعبد كان ظاهرة شائعة ، إذ نجده يعتب على نقاد الشعر و دارسيه من اهل زمانه بقوله : " فإني رأيت من علمائنا ما يستجيد الشعر الخفيف لتقدم قائله ، و يضعه في متحيزه و يرذل الشعر الرسيم و

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر دار المعارف ، مصر مطبعة الثانية سنة 1982 ، ص: 152.
[2] المرجع نفسه ، ص : 99.

لا عيب له عنده إلا أنه قبل في زمانه أو أنه رأى قائله "[1]، و لا يكتفي ابن قتيبة برأيه في هذه القضية فيقدمه جزافا بل يحتج اما يقول بحجج تقوم على الملاحظة و المنطق و العقل فيقول :" و لم يقصر الله العلم و الشعر و البلاغة على زمن و لا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، و جعل كل قديم حديثا في عصره ...."

كما يتضح في هذه الفقرات ابن قتيبة يصنع لنفسه أسسا موضوعيا بحكم به على الأدب، و هذا الأساس الموضوعي هو الجودة الفنية التي لا تتأثر بصاحب الأثر الفني او الزمان الذي عاش فيه ، و هذا كلام لا يستحق الاجلاء و الثناء على هذا الناقد الذي يرغب في تحرير النقد من اسباب التقليد و لعلى هذا ما دفعه إلى تقيد أراء العلماء و النقاد .

حيث نجد ابن قتيبة ينظر إلى الشعر بعين الناقد البصير الذي يستطيع ان يقلب المعنى على أوجهه حتى يصل إلى حقيقة العاطفة أو صدق الشعور

نجد كتابه قد تحول إلى مجموعة أخبار وروايات عن الشعراء الذين رتبهم و اختار سمن شعرهم بطريقة غير واضحة المعالم أو الأسس التي تبين سبل اختياره.

حيث يدلل حديث ابن قتيبة نفسه على انه وقع فريسة للتقاليد الشعرية الموروثة التي قرر الخروج عنها حين ألزم الشعراء بها .

2- بناء القصيدة العربية :

نجده في حديثه عن بناء القصيدة ما يؤيد ما ذهبنا إليه إذ نجده يلزم الشعراء بما سار عليه القدماء ،ن حيث يرى ان القصيدة لابد ان تنقسم إلى عدة أقسام هي :

- أن تبدأ بالوقوف على الأطلال .
- ثم ينتقل الشاعر على النسيب .
- ثم يصف رحلته وما لقاه من عناء.
- ثم غرضه الذي يبتغى سواء كان المدح او غيره.

[1] مرجع نفسه ، ص : 105

نلاحظ انه يقف و بشدة في وجه المجددين حينما يلزمهم بالخط الذي سار عليه القدماء، و في الجانب المقابل نجد ابن قتيبة يبين مراحل بناء القصيدة ، إلا انه قد يجانب الصواب حينما يقرر أن البداية بذكر ديار و السفر ما هو إلا تمهيد للمديح حيث أن التكسب بالشعر كان مرحلة متأخرة في تاريخ الشعر العربي و لم يكن بداية كما يقرر ابن قتيبة.

03- قضية اللفظ و المعنى :

كذلك تناول ابن قتيبة قضية اللفظ والمعنى وهي من القضايا الهامة في النقد الأدبي ومما يحمد له أنه عالجهما بطريقة عملية حينما تناولهما مقترنين في النص الأدبي إذ قرر أن الشعر لفظ و معنى، و ان التفاوت في الاختلاف في تقديره يرجع إلى الاجادة فيهما معا أو الافتنان في احدهما لدرجة تنسى الضعف الموجود في الاخر فقد تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب.

04- قضايا أخرى :

و من القضايا الهامة التي تعرض لها ابن قتيبة في كتابه قضية الشعر المطبوع و الشعر المتكلف ، فقد جعل للشعر المطبوع علامات تميزه و كذلك اوضح علامات التكلف في الشعر و قد اعتبر الشعر المرتجل -الصادر عن حرارة العاطفة و قوة الانفعال هو أعلى درجات الشعر المطبوع و أن الشاعر المطبوع هو الشاعر الذي يقدر على الارتجال و لعلى هذا الأمر جعله يعد زهيرا و الخطيئة و أشباههما من المتكلفين و ذلك لأنهم قوموا شعرهم و تأنوا في إخراجه.

و مما يؤخذ على ابن قتيبة أنه ترتيبه للشعراء لم يأخذ بمقياس واضح يسير عليه ، كأن ينتقل من الحديث عن معنى اورده الشاعر الذي يترجم له إلى المعنى ذاته عند شاعر آخر فيورده أشعاره و ينتقل للحديث عنه أو ينتقل من حديثه عن شاعر إلى الحديث عن أحد اقربائه.

و قد يشير ذلك إلى ان ابن قتيبة كان يسير حسب توافر المادة العلمية لديه ن فإذا تيسرت له مادة علمية في اثناء التأليف حول شاعر معين ضمها إلى كتابه ، دون أن يهتم بوضع الشاعر في المكان المواقف لزمنه أو اتجاهه.

2-2 كتاب الشعر و الشعراء ابن قتيبة :

يقع كتاب الشعر و الشعراء في طبعته المعتمدة من قبلي في 1039 صفحة لأن الكتاب في جزئين :

- الأول من الصفحة 05 إلى الصفحة 545 .
- الثاني من الصفحة 553 إلى الصفحة 1039 .
- الجزء الأول : من كتاب ابتداء من الصفحة 59 .
- مقدمة المؤلف وتضمنت حديثه عن :
- أقسام الشعر وعيوبه من الصفحة 59 إلى الصفحة 104 .
- عدد الشعراء المترجم لهم في هذا الجزء 98 شاعرا ..
- الجزء الثاني : تضمن تتمة التراجم الشعراء وعددهم في هذا الجزء 108 .
- مجموعة الشعراء المترجم لهم في مجمل الكتاب 206 من الشعراء وهو عدد كبير

يحسب ابن قتيبة الذي يقول واصفا كتابه:

- هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء و أزمانهم، وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم و قبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته عليه علماء من الغلط و الخطأ في ألفاظهم أو معانيهم ، ما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون وأخبرت فيه عن أقسام الشعر و طبقاته ، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها [1].

أما تصنيفه لشعر فيكمن في جعله أربعة أضرب، فابن قتيبة اهتم بالبناء اللغوي المفردات ولم يهمل الدلالة بوصفها نصقا أساسا في القول الشعري

[1] ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ، تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر ، طبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، 1982 ، ص: 59.

وأما تصنيف الشعراء لديه، فيتأسس على اهتمامه بالمشهورين الذين يحتج بأشعارهم، كما هو مبين في قوله:" وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب ... "[1].

تجليات المنجز النقدي داخل الكتاب :

منهج ابن قتيبة النقدي :

منذ البداية يعترف ابن قتيبة أنه خص بكتابه هذا الشعراء (أخبارهم ، و أزمنتهم ، و أقدارهم ، و أحوالهم ، قبائلهم ... ! و الشعر (أقسامه ،و طبقاته ، و الوجوه التي يختار عليها و يستحسن و عيوبه ... !).

قال أبو محمد :" وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الأدب و الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب و في النحو و في كتاب الله عزوجل ، و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأما من خفي اسمه و قل من ذكره و كسد شعره، و كان لا يعرفه إلا بعض الخواص فما أقل من ذكرت في هذه الطبقة إذا كنت منهم إلا قليل و لا أعرف لذلك القليل أيضا اخبار ، و إذا كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لا اول عليها بخير أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب[2].

الظاهر أن ابن قتيبة ترجم للمشهورين من الشعراء الذين يحتج بأشعارهم في الغريب و في النحو و في كتاب الله عزوجل و حديث نبيه صلى الله عليه و سلم ، في حين لم يبد أي اهتمام بمن قل ذكره و كسد شعره، لجهله بأخبارهم ، و لأنه يرى أن القارئ في غنى عن ذكر أسماء دون ذكر اخبار و أزمان و أنساب و أشعار أصحابها و أغلب الظن أنه سار على منهج سابقيه من تمييز الشعر و الشعراء.

و من بينهم ابن سلام الجمحي : فإذا عدنا إلى الطبقات نجده هو الآخر اقتصر على المشهورين من الشعراء ، و الدليل على ذلك قول ابن قتيبة نفسه: "... و لا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفتنه من تلك القبيلة شاعرا إلا عرفه و لا قصيدة إلا رواها "[3].

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط6، 1997 ، ص : 21.
[2] المرجع نفسه، ص: 22
[3] المرجع نفسه ، ص : 22

و يقول : " و لعلك تظن رحمك الله أنه يجب على ألف مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعرا قديما و لا حديثا إلا ذكره ، و ذلك عليه و تقدر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث و الخبار و الملوك و الاشراف الذين يبلغهم الاحصاء و يجمعهم العدد و الشعراء المعروفون بالشعر عند شعائرهم و قبائلهم في الجاهلية و الاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم و استفرغ مجهوده في البحث و السؤال...."[1].

و كأن ابن قتيبة يريد أن يقول لنا إنه لا طائل من استقصاء كل الشعر ، فمهما بلغ الباحث لا يستطيع أن يحصى و يلم بكل شعراء قبيلة واحدة ، و لو أنفذ في ذلك كل عمره ، ما بالك بكل قبائل العربية و ربما أن في ذلك أيضا إشارة إلى أن سابقيه حاولوا في هذا المضمار فلم يصلوا إلا القليل من الشعراء الذين صار ذكرهم أكثر من نار على علم.

إن غاية ابن قتيبة في كتابه أن يعرض لمن غلب عليه الشعر لا غير كما فعل ابن شبرمة القاضي و سليمان بن قتيبة التيمي المحدث ، ذلك لا لقصر جهد ابن قتيبة و باعه في المسألة و إنما أراد أن يتخصص .

يقول ابن قتيبة :"... لم أسلك فيما ذكرته عن شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن غيره ، و لا نظرت إلى المتقدم منهم بعين العدل على الفريقين و أعطيت كملاحظة و وفرت عليه حقه ، فإني رأيت في علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله و يصنعه في متخيره و يرذل الشعر الرسيم ، و لا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، و أنه رأى قائله ...."[2].

إن النص يعكس بجلاء مذهب بن قتيبة النقدي ، فقد كان بن قتيبة عادلا منصفا في التمييز بين هذا الشاعر و ذلك ، و هذا الشعر و ذاك، ف " المحك عنده جودة الشعر بغض النظر عن الأقدمية و الحداثة أو تقدم قائله أو تأخره[3].

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط6، 1997 ، ص : 22.
[2] مرجع نفسه ، ص:23.
[3] محمد طاهر درويش : النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار المعارف ، مصر ، ب ،ط 1979 ، ص 176.

فهو لم يتعصب لقديم لقدمه، ولا لحديث لحداثته، خاصة جرير ، والأخطل ، والفرزدق ، و أبو نواس وأبو تمام ...عندما عدوهم من المحدثين ، وعدو ا شعرهم بالفاسد و الرديء والأقوال كثيرة في هذا الكتاب في هذا الباب .

2-2 كتاب الشعر والشعراء :

الشعر والشعراء من أقدم الكتب التي صنفت في التراجم الشعراء، ألفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276ه) أحد أئمة القرن الثالث الهجري. وهو طبقة الجاحظ عند المعتزلة، إمام متمكن متعدد جوانب التأليف كثير المؤلفات، وكتاب الشعر والشعراء من أهم الكتب التي ترجمت للشعراء. ويعد مصدرا أصيلا ومرجعا هاما في بابه. وكبير الشبه بكتاب طبقات نحول الشعراء لابن سلام الجمحي. لم يعرض ابن قتيبة، في هذا الكتاب على استيفاء الشعراء وحصرهم وتقصي سيرهم، بل اقتصر على المشاهير منهم. قال في مقدمة الكتاب "وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يصح الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عزوجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" . كذلك لم يعمد ابن قتيبة إلى تصنيف الشعراء في طبقات كما فعل غيره، وإنما كان همه الترجمة وجمع أخبار الشعراء واختيار طائفة من أشعارهم يسوقها تمثيلا أو بمناسباتها وقد كان يراعي التراتيب الزمني في تناول الشعراء، وكان معظم أصحاب تراجمه من القدماء، ألا أنه لم يخله من تراجم بعض المحدثين كأبي العتاهية ومسلم بن الوليد والعباس بن الاحنف ومن في حكمهم.

وقد امتاز الكتاب بمقدمة نقدية يعدها الباحثون من بواكير النقد الأدبي المصحوب بالعلل. وقد بين فيها منهج الكتاب والغرض من تأليفه والكتاب كثير الشعراء غزير النصوص، تضمن 206 ترجمة، بدأها بإمرئ القيس وأطال القول فيه، لاستفاضة أخباره عندهم ولتقديمهم له على الشعراء. ثم ترجم لزهير وابن كعب ثم النابغة ثم الذي يليه حتى بلغ ابن مناذر ثم ختم كتابه بالحديث عن أشجع السلمي في العصر العباسي.

وهذا الكتاب يعد كتابا من المختارات الشعرية وكتابا في النقد بالإضافة إلى كونه كتابا في تراجم الشعراء.

الملمح التصنيفي في كتاب الشعر والشعراء لابنه قتيبة:

تتقاطع بعض الدراسات التي اهتم أصحابها بأبن قتيبة أن ثقافة هذا الأخير كانت قائمة على دراسة اللغة والأدب ورواية الشعر، والمعرفة بالنحو، مع الإلمام بكثير مما ألم به المثقفون المستنرون من اتجاهات أجنبيه، فارسية ويونانية وغيرهما، وقد ألم ابن قتيبة بلغة أو أكثر غير العربية، كذلك درس الفلسفة والكلام. وسافر إلى فارس وتولى القضاء بالدينور، ثم اعتزل وعاد إلى بغداد يعلم ويؤلف[1].

ولعلى ثقافته تلك تتجلى بوضوح في كتابه (الشعر والشعراء)، خاصة لحظة حديث عن أقسام الشعر، وعن رؤيته بعين العدل الى نتاجات المتقدمين والمتأخرين.

والظاهر أن ابن قتيبة اشتهر بنزعته التصنيفية للشعر وعندما قسمه أضرب أربعة، بإضافة إلى تصنيفه للشعراء إلى متكلف ومطبوع، حيث عرض في القسم الأول من كتابه للناحية الأدبية والنقدية، إذ ذكر ما يستجاد من شعر الشعراء، وما قاله العلماء فيه، ثم طبقات ذلك الشعر[2].

وفي القسم الثاني لم يعرض لشعراء العرب جميعا في الجاهلية والإسلام بل مارس ابن قتيبة عملية الانتقاء فكان انتقاؤه مبنيا على الشهرة والتقدم[3].

على أن من شروط التقدم لديه:

- شهرة الشاعر لدى أهل الأدب
- الاحتجاج به في تفسير كتاب الله
- الاحتجاج بأشعاره في النحو و غريب اللغة

غير أن الحكام التي قام بها ابن قتيبة يشوبها الذوق، مع ما في الذوق من ذاتية تختلف باختلاف شخصية المتذوق وثقافته "ومن ذا الذي يقرأ ابن قتيبة على ان النماذج التي ساقها

[1] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص 132.
[2] بشيري عبد المجيد تاكفراست النقد الادبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، د- مؤسسة أفاق للدراسات والنشر والاتصال مراكش المغرب. 2013 ص55.
[3] أحمد عامر. من قضايا التراث العربي، د- ط. منشأة المعارف الإسكندرية: د ت ص 15

لما حسن لفظه وجاد معناه ... أو بعبارة أخرى من ذا الذي يقر صاحب الشعر والشعراء على جودة هذه النماذج إنما هي لما فيها من لفظ حسن ومعنى جاد[1] ، خاصة وأن النماذج التي أعملها قبالة للقراءة في أكثر من منظور، ما ينتج آراء مختلفة.

آراء الباحثين في الكتاب:

في هذا المبحث سأعرض أراء بعض الباعثين، المحدثين في كتاب الشعر والشعراء وهم على الشاكلة التالية:

يرى محمد زغلول سلام أن الجزء الثاني من الكتاب ليس سوى مجرد لأراء سابقي ابن قتيبة كجاحظ في كتاب "البيان والتبيين"، وابن سلام في "طبقات الشعراء"[2].

إحسان عباس: يرى هذا الناقد أن طبيعة المقدمة يفصلها عن طبيعة الكتاب بون شاسع، فبينما هي تهدف إلى تصوير موقف ابن قتيبة من الشعر يأتي الكتاب تاريخا وترجمة للشعراء [3].

والحق ان ابن قتيبة حاول الفصل بين الشعر والشعراء بذؤا من عنوان الكتاب "الشعر والشعراء"

محمد رمضان الجربي: يرى الباحث ان مقدمة الكتاب مقدمة نفسية تدل على عبقرية ابن قتيبة الفذة وشخصيته المتميزة وفكره المتحرر وآرائه الفاطنة والوجيهة في النقد، يقول :"... مقدمة نفسية تدل على عبقريته (ابن قتيبة) وقوة شخصيته وحرية فكره وآرائه القيمة في النقد، وفطنته للمقاييس الفنية، والقيم الجمالية منذ ذاك الوقت المبكر" [4]

عبد العزيز عتيق : يرى هذا الباحث أن الكتاب مرجع من مراجع تاريخ الأدب العربي الأساسية و ذلك أنه اشتمل على أخبار الشعراء و عصورهم و أشعارهم [5].

حسين تميم : يقول : " .... هو كتاب عمدة في مادته و فحواه و يعتبر من مصادر الأدب الأولى ، ألفه أحد الأئمة اللغة و الأدب الذي يستشهد بقوله ، و يرجع إلى نقله ، عرض فيه

---

[1] فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي، د ط. منشأة المعارف الإسكندرية د. ث ص 15.

[2] زغلول محمد سلام: نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ب. ط سنة 1965. ص: 62.

[3] إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، سنة 1993، ص: 106.

[4] محمد رمضان الجربي: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية، المنشأة اللغوية العامة للنشر والتوزيع الإعلام – طرابلس- ط1، 1984م، ص: 36.

[5] عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ط 3 سنة 1974م ص: 377.

تراجم مشاهير الشعراء الذين تتداول أسمائهم كتب الأدب و البلاغة و الذين أسهموا بإنتاجهم الشعري في إغناء أدب العرب و الذين يقع الاحتجاج بشعرهم في علوم النحو و الغريب و في معاني كتاب الله ، و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم [1].

و على الرغم من تباين مواقف هؤلاء الباحثين من كتاب الشعر و الشعراء إلا ابن قتيبة يبقى علما بارزا من أعلام القرن الثالث للهجري و آية من آياته، و يظل كتابه أبد الدهر شاهدا على منجزه النقدي

فهرست كتاب الشعر و الشعراء:

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
3	ترجمة المؤلف	241	ابن غلفاء
5	خطبة الكتاب	137	ابن فسوة
8	أقسام الشعر	213	ابن قيس الرقيات
16	أقسام الشعراء	131	ابن مفرغ
17	دواعي الشعر	175	ابن مقبل
18	أوقات الشعر	364	ابن مناذره
19	المفاضلة بين الشعراء	391	ابن ميادة
21	الشعر الذي يختار و يحفظ	319	ابن حرمة
23	نقد الشعر	210	أبو الأسود الدؤلي
24	اختلاف الشعراء في الطبع	264	أبو الزحف
21	بعض عيوب الشعر	346	أبو الشيص

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط6، 1997 ، ص : 16-17

	تراجم الشعراء	177	أبو الصلت
129	ابن أحمر	145	أبو الطكحان
281	ابن الدمينة	309	أبو العتاهية
164	ابن الدانينة	257	أبو العيات الهذلي
140	ابن خذاق	243	أبو الغول
149	ابن دارة	232	أبو النجم العجلي
262	أبو الهندي	189	الأخطال
215	أبو جلدة	71	الأسود بن يعفر
299	أبو حية	143	الأصنبط بن قريع السعدى
255	أبو خراش الهندلي واختوته	79	الأعشى ميمون
61	أبو دؤاد	343	الأعور الشنى
300	أبو دلامة	235	الأغلب الراجز
235	أبو دهبل الجمحي	59	الأفوه الأودي
252	أبو ذؤيب الهذلي	318	الأقيشر
101	أبو زبيد	310	أمروئ القيس
296	أبو عطاء السندى	176	أمية بن أبي الصلت
257	أبو كبير الهذلي	256	أمية بن ابي عائذ
162	أبو محجن التقفي	213	أنس بن أبي اناس

231	أبو نحيلة الراجز	47	أوس بن مغراء
313	أبو نواس	214	أيمن بن حزيم
261	أبو وجزة السعدي	273	البردخت
205	أرطاة بن سهية	195	البعيث
353	أشجع السلمى	291	بشار بن برد
159	أفنون	16	بشر بن أبي حازم
213	لأجراد	107	تأبط شرا
304	أبو الغول	169	توبة بن الحمير
306	الأحيمر السعدي		

موقف ابن قتيبة من قضية اللفظ و المعنى :

قضية اللفظ و المعنى من القضايا التي كانت محل اهتمام كبير من النقد العربي القديم و التي أسيئ تحديد أبعادها نتيجة لاضطراب المصطلحات التي استخدمها التراث النقدي العربي في طرح هذه القضية .

و على أي حال فقد قسم ابن قتيبة الشعر بالنظر إلى لفظه و معناه إلى اربعة أضرب :

الأول : ضرب حسن لفظه و جاد معناه :

الثاني : ضرب حسن لفظه و حلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

الثالث : ضرب جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه.

الرابع : ضرب تأخر معناه و تأخر لفظه

و الواضح من طرح ابن قتيبة للقضية على هذا النحو أنه من الذين يؤمنون بإمكان الفصل بين اللفظ و المعنى في الشعر حيث يفرض أن المعنى يمكن أن يكون حسنا بين اللفظ القبيح و العكس و هذا يقتضينا ان نحدد مدلول مصطلح المعنى و كذلك مدلول مصطلح اللفظ عنده فالمعنى قد يعني عنده الغرض أو الفكرة العامة التي يعبر عنها الشاعر و هذا واضح في تمثيله للضرب الأول الذي حسن لفظه و جاد معناه بقول الفرزدق في مدح علي بن الحسين رضى الله عنهما (و البيت منسوب إلى الحزين الكناني) .

يغضى حياء و يغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

و تعليقه على هذا الشعر بقوله : لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه و الغريب أن يخلط ابن قتيبة أحيانا بين المعنى و السبك إذ من المعروف أن السبك أقرب إلى اللفظ و الصياغة منه إلى المعنى أما اللفظ فإن ابن قتيبة كان يقصد به في الغالب الصياغة و التعبير ليس الألفاظ المفردة أحيانا كان يعبر عن اللفظ بكلمات غامضة المدلول كالماء و الرونق الذين استعملهما بمعنى اللفظ في العبارة السابقة التي علق بها على بيت لبيد

ابن قتيبة هو أول من سوى بين اللفظ و المعنى و بذلك يخالف الجاحظ فرأي البلاغة لا تقتصر على اللفظ فقط ، فقد تكون فيه ، و قد تكون في المعنى ، أو فيهما معا فمذهبه مذهب التسوية و ميزانه في ذلك الجودة و الرداءة و قد يحكم بتعديلها المنطق فالشعر عنده أربعة أضرب.

يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر و الشعراء: " وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره ... وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة ، والأنساب الصحاح ، والحكم المضارعة الحكم الفلاسفة ، و العلوم في منها مبشرا أو جائلا ، و البروق وما كان منها خلبا أو صادقا ، السحاب و ماكان منها جهاما أو ماطرا ، وعما يبعث منه البخيل على السماح ، والجبان على اللقاء ، و الدني على السمو[1] .

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، 1982 ، ص : 75

فقد عرض ابن قتيبة في كتابه لأمر عرفه النقد العربي قبل عصره بزمان ، وهو أن الشعر في تصور العرب مصدر رئيسي من مصادر المعرفة الموثوقة ، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن خطاب رضي الله عنه – قولته المشهورة : " كان الشعر علم قوم

لم يكن لهم علم أصح منه ".

وكان له ذوق خاص ومنحى خاص في النقد الأدبي ، وهذا المنحى هو البحث في الأدب بروح العلم ، وهو التمشي بالنقد الأدبي أن يكون كالعلم دقة وتحديدا ، وهو تحليل الشعر إلى عناصره ، وحصره حالات كل عنصر ، هو تنظيم ما عرف من الآراء ، والأفكار قديما في النقد ووضعها في أصول عامة ، وقواعد عامة يلمسها الناقد ويضع يده عليها

وهو كتابه الشعر و الشعراء لم يتجه إلى تعريف الشعر كمصطلح نقدي كما فعل الجاحظ ، لكن وضح مكوناته وعناصره ، وأقسامه وأضرب ، معتبر النقد كالعلم ، له قيود وقواعده العامة[1] .

تتسم رؤية ابن قتيبة في تحديد الأسس الجمالية التي يجب توافر شيء منها في الشعر إلى إعلاء منزلته ورجعان كفة مبدعه ، بثنائية تفضل الشكل عن المضمون في الشعر ، ومنها ضربا خاصا من الجماليات وجملة القول إن ابن قتيبة أعمل ثقافته النقدية في الشعر فرآه أربعة أضرب من جهة توافر الجودة في معناه و لفظه .

حيث اهتم ابن قتيبة بالحالة النفسية لمبدع الشعر، وهو من الوجهة ينتمي إلى فئة النقاد الذين يرون الشعر تغييرا عما في رقعة النفس وليس محاكاه يقصد منها إلى الإثارة و التعجب ، لكنه أغفل هذا الأساس عند مناقشة لضروب الشعر ، وقد أضفى المنطق و الفقه طابعا خاصا على نقده ، إذا اتسم كلامه بالوضوح و الميل إلى التصنيف وقوة الإستدلال .

إن المتعرف لابن قتيبة من خلال هذا المنجز النقدي أنه سلك مسلك ابن سلام في جوانبه عدة وابتدع لنفسه مسلكا جديدا تميز به عن أستاذه ،تجلى أساسا في تلك المقدمة النقدية التي تعد في نظرنا تمهيدا لابد من الاطلاع عليه قبل السير أغوار الكتاب فالقضايا التي تبرزها

[1] حياة عمارة ، مقياس النقد العربي القديم العام الجامعي، 2015-2016، جامعة تلمسان ، ص 31.

المقدمة هي قضايا معيار ، حيث يبين فيها الكاتب المعايير التي اشتغل عليها في ترجمة الشعراء ، وهذا أدل على أن عمل ابن قتيبة لا يخبط فيه خبط عشواء ، وإنما كان عملا منطقيا علميا صرفا ، بحيث لا يحكم على شعر شاعر حديث لحداثته ، و لا قديم لقدمه ، وإنما المعيار عنده كما سبق هو الجودة و الشهرة بغض الطرف على الزمن الذي قيل فيه .

وقد استطاع من خلال عمله هذا أن ينال الخطوة إلى جانب ابن سلام وابن المعتز ، باعتبارهما الأقرب إلى مجاله .

لا يسعني إلا أن أقول فب حق هذا الكتاب أنه كتاب عمدة في الأدب ، والأحوط أن يكون في خزانة الباحث ،يعينه على المعرفة ويرشده إلى المعلومة .

خاتمة

خاتمة

و في الأخير فقضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم احتلت مكانة وسط النقاد و جدل واسع في مسار النقد العربي و هذا ما جعل اللفظ و المعنى في قمة الصدارة في القضايا النقدية الأدبية .

من خلال ما تقدم تتضح أبعاد الجدال بين اللفظ و المعنى و قد تجلى فيها أن الجاحظ و العسكري معنيان يحسن الصياغة و جزالة الألفاظ حيث هما من أنصار تفضيل اللفظ على المعنى و ذلك من خلال أناقة اللفظ و جرس الكلمة .

و قد جمع بين اللفظ و المعنى ابن قتيبة مقياسا في البلاغة و ميزنا للقيمة الفنية فقد حكم على سذاجة المعنى و يدعي في الألفاظ سلس العبارة و جودة المخارج و حسن المقاطع و حدة اللفظ و المعنى شيء , واحد متلازما ملازمة الروح للجسد فلا يمكن الفصل بينهما .

أما فيما يخص العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى مثلها عبد القاهر الجرجاني و كانت وجهت نظر البلاغيين تحميل لفظ المعاني الفصاحة قد اعتبارها أنصار اللفظ من صفات اللفظ و خصائصه أما عبد القاهر الجرجاني فقد ربط الفصاحة بالنظم و التأليف و الترتيب .

أما فيما يخص كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة (ت:276هـ) ناقد أدبي فقد حمل كتابه جملة من القضايا النقدية و من هذه القضايا قضية اللفظ و المعنى التي كان ابن قتيبة قد عالجها معالجة عملية من خلال كتابه و من خلال موقفه و تقسيمه للشعر إلى أربعة أضرب ، و القضايا النقدية التي عالجها ، إضافة إلى مت تقدم من تقسيم ابن قتيبة للشعر ، و لا يعني أنه يفضل بين اللفظ و المعنى ، لأنه أدرى بتعذر الفصل بينهما ، و لكنه أثر الحديث عن المعاني التي يدعو إليها في ظاهر كلامه ، و أراد أن يوفق بين ما يرغب فيه هو ، و ما يرغب فيه غيره ، و ما يرغب هو غيره عنه ، فقسم الشعر على النحو الذي مرّ بنا.

و آراء الباحثين حول الكتاب فمن النقاد و من يرى أن مقدمة الكتاب مقدمة نفسية تدل على عبقرية ابن قتيبة و من يرى أن الكتاب مرجع من مراجع تاريخ الأدب العربي الأساسية

و في النهاية لا نستطيع إلا أن نقول أنه لو لم يكن لابن قتيبة إلا مقدمة هذا الكتاب لرفعته إلى مصاف كبار النقاد المجددين الذين رفعوا من شأن النقد الأدبي لما أورد فيها من قضايا تنم عن نظرة ثاقبة و صفاء ذهن و وعي بالعملية النقدية .

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

المصادر و المراجع :

- ابن جني ، البلاغة بين اللفظ و المعنى
- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده
- ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ت: محمود محمد شاكر الطبعة الثانية ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، 1982م
- ابن طباطبا ، عيار الشعر ، طه الحاجري ، طبعة المكتبة التجارية
- ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ، دار الثقافة و النشر و التوزيع الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر 1982 م .
- ابن مالك : شرح التسهيل ت : عبد الرحمن محمد بدوي المختون دار الهجرة ، القاهرة ، 19990.
- أبو البقاء الكفوي ، الكليات ، ت : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية 1993
- بدوي أحمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة ، مصر ، طبعة أولى.
- بشرى عبد المجيد تكفر ، إنشاء النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين ، د،ط مؤسسة آفاق للدراسات و النشر و الاتصال مراكش المغرب ، 2013م.

- الجاحظ ، البيان و التبين ، مكتبة فضاءات الفن طبعة الثانية ، بيروت
- الجاحظ الحيوان ، ت.عبد سلام محمد ، مكتبة فضاءات الفن طبعة ، الأولى ، بيروت ، 1986 .
- الرباعي ربا المعنى الشعري و جمالية التلقي، دار جرير ، عمان
- الزبيدي ، تاج العروس ، مكتبة الحياة ، بيروت ، مصور المطبعة الخيرية بمصر ، 1306هـ.
- سعود عبد الجبار ، النقد الأدبي القديم ، أصوله و تطوره الطبعة الأولى ، 2001م ، الأردن
- السيوطي : الأشياء و النظائر في النحو ، ت: عبد العال سالم مكرم .
- شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، تفسير صورة الإخلاص .
- الشيخ خالد والأزهري: شرح التصريح على التوضيح دار احياء الكتب العربية .
- ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر ، أحمد الحوفي بدوي
- عبد العزيز عتيق ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجازات ، محمود محمد شاكر مطبعة المدني.
- قدامة ابن جعفر : نقد الشعر ، ت، عبد المنعم خفجي دار الكتب العلمية ، بيروت
- قصي الحسرة : النقد الأدبي عند العرب ، معلمة وإعلامية المؤسسة الحديثة :

- محمد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب بن مجد بن إبراهيم بن عمار – الشرازي
- محمد حسين علي الصغير ، مجاز القرآن و خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الطبعة الأولى 1994 .
- محمد زغلول سلام : نوابغ الفكر العربي ابن قتيبة ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة .
- محمد الحنفاوي : أضواء على الفكر البلاغي – البيان – مكتبة الزهراء 1988 .
- محمد رضوان ، نظريات في اللغة ، ومطابع الحقيقة بنغازي ، طبعة الأولى .
- محمد رمضان الجربي ، ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية و النقدية ، المنشأة اللغوية ، العامة للنشر و التوزيع والإعلام ، طرابلس ذ، الطبعة الأولى 1984 .
- محمد طاهر درويش : النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار المعارف ، مصر ، بدون طبعة 1979 .
- مريم محمد جاسم المعجمي : نظرية الشعر عند الجاحظ ، دار مجدلاوي للنشر وتوزيع عمان .

المصادر الأجنبية :

- Jon lainz : langue et sens paroles, abas sadak el Wahab ,maison ,culture générale ,Baghdâd ,t1 , 1987 .
- Wlim font ou conor : critique littéraire .

الأطروحات و الرسائل :

- أحمد مداح التنظير البلاغي عند ابن قتيبة من خلال كتابة تأويل مشكل القرآن ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في إطار مشروع البلاغة العربية بين التطور و التجديد تحت اشراف " قدور إبراهيم عمار ، 2012/2011".
- علي محمد حسين العماري قضية اللفظ و المعنى و أثرها في تدوين البلاغة العربية : رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى جامعة الأزهر .
- حياة عمارة ، برنامج مقياس النقد العربي القديم جامعة تلمسان 2010/2009.

مواقع الأنترنت:

www.borunibrskra.net

الفهـــرس

ملخص

تعد مسألة اللفظ و المعنى من المسائل الكبيرة التي شغلت النقاد القدماء فقد قام جدال بينهم في تحديد مصطلح كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية ، ومن ثم في تقويم شخصية كل منهما في الريادة الأولوية ، فكان تفضيل اللفظ على المعنى و تفضيل المعنى على اللفظ و وحدتهما و العلاقة بينهما ، و كان للكتاب الشعر و الشعراء حظ وفير في هذا البحث و موقف ابن قتيبة من قضية اللفظ و المعنى .

Abstract :

It is difficult foe any critic to separate utterance and meaning because meanings once arise in the soul of the artist in the creative process they become inseparable from their utterances.

To be prefer utterance on meaning and prefer meaning on utterance and unify from between to be book el chair and choaraa chance abundant in research and stop station of ibn cotayba from the cose of utterance and meaning

الفهـــــــــرس

العنوان	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
مقدمة	**أ- د**
المدخل	
نشأة النقد	**6-12**
مراحل تطور النقد	**12-16**
القضايا التي عالجها النقد	**16-17**
قضية اللفظ و المعنى	**17-26**
الفصل الأول : تفضيل اللفظ على المعنى و تفضيل المعنى على اللفظ و وحدتهما و العلاقة بينهما	
تفضيل اللفظ على المعنى	**28-34**
تفضيل المعنى على اللفظ	**34-35**
الجمع بين اللفظ و المعنى	**35-40**
وحدة اللفظ و المعنى	**40-50**
تحميل لفظ المعاني (وجهت نظر البلاغيين)	**50-57**
الفصل الثاني : كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة	
ابن قتيبة العصر الذي نشأ فيه	**59-61**
مكانة ابن قتيبة في معرفة الشعر	**62-62**
ماهية كتاب الشعر و الشعراء	**62-65**
القضايا النقدية و الأدبية التي تناولها ابن قتيبة في كتابه	**66-69**
تصنيف كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة	**69-70**
تجليات المنهج النقدي داخل الكتاب	**70-74**
آراء الباحثين في كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة	**74-77**
موقف ابن قتيبة من قضية اللفظ و المعنى	**77-80**
خاتمة	**82-83**
قائمة المصادر و المراجع	
الفهرس	
الملخص	